

ذِکْرُ رَسَائِلِ حَوْلِ الْأَنْبِيَاءِ



لمياء شومان

دار البشیر

نِسَاءُ حَوْلِ الْأَنْبِيَاءِ

لمياء شومان

دار البشير
للثقافة والعلوم



اسم الكتاب: نساء حول الأنبياء

التأليف: ليلى شومان

عدد الصفحات : 224

عدد الملامح : 14

مقاس الكتاب : 24 × 17

عدد الطباعات : الطبعة الأولى

الإيداع القانوني : 2014/2088

الترقيم الدولي : 0 / 978/977/278/440 I.S.B.N.

الصف التصويري: الذي للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

مصر

darelbasheeralla@gmail.com

darelbasheer@hotmail.com

ت : 01062836461- 01067467492

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه
بكل طرق الطبع ، والتصوير ، والنقل ،
والترجمة ، والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي ، وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من :

دار البشير للثقافة والعلوم

1435 هـ

2014 م

ذِي الْمَنَنِ
حَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ



مُقَدِّمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم الأنبياء
أجمعين الذين أرسلهم الله تعالى رحمة للعالمين، وجعل لهم أزواجاً وذرية وأمهات
وأخوات..

فهذا الكتاب يتحدث عن نساء عشن في عصور الأنبياء وأثرن فيهم وفي
مجتمعاتهن، إما تأثيراً محموداً يحسب لهن ويرفع من درجاتهن.. وإما تأثيراً مذموماً
يحسب عليهن ويجعلهن وبالاً على المجتمعات، ونقطاً سوداء في تاريخها. فالنساء
شقائق الرجال يحملن مسئولية الأمانة الكبرى معهم ويحاسبن عليها كما يحاسبون.

وأردت في هذا الكتاب إبراز وتوضيح عدة أفكار أهمها:-

1- بشرية النساء والتنوع في عقولهن وعواطفهن وشخصياتهن ودرجات إيمانهن..
مما يوضح سوء الفكرة العنصرية التي تتعامل مع المرأة على أنها كيان واحد لا
يتجزأ، وهذه فكرة خاطئة غريبة وغريبة على فطرتنا..

فالمرأة ليست شراً محضاً أو سفينة العقل وضعيفة الرأي كما يحلو للبعض أن
يصفها بذلك ولا هي خير محض وقع عليه ظلم شديد ويحتم علينا أن نرفع من
شأنه ونفرض تميزه بالقوة، سواء بوجه حق أو بغير وجه حق كما يحلو للبعض
الآخر.

2- عرض نماذج طيبة من النساء اللاتي نقتدي بهن ونماذج سيئة من النساء اللاتي
يجب تجنب طريقهن.

3- عرض بعض المواقف والأحداث والمشكلات التي حدثت على مر التاريخ،
والتي تتشابه مع أحداث عصرنا الحديث والإفادة منها.

4- إعلاء شأن مؤسسة الأسرة ودورها في تقدم المجتمع ورفقه وازدهاره في كل
عصر.

فترى في هذا الكتاب الحياة الزوجية في حياة الأنبياء، نرى نماذج الوفاء والصبر في
شخصية ناعسة امرأة أيوب عليه السلام، ونرى الزوجة المثالية والتي تسعد من يحظى بها
في شخص (رعدة) امرأة اسماعيل..

حواء

**(أول عروس على
وجه الأرض)**

حواء

(أول عروس على وجه الأرض)

خلق الله تعالى آدم من تراب، ثم خلق منه حواء وهو نائم، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189].

فالسبب الرئيسي لخلق حواء هو السكن إلى آدم، فهي جزء منه، والجزء دائماً يثوب إلى الكل، والكل يشترق إلى الجزء.

وقد رُكِّب في فطرة الإنسان أن يحب من هو جزء منه.

- خلقت حواء من آدم وهو نائم حتى لا يتألم، فإن الرجل إذا تألم كره، وهذه هي طبيعته.

والمرأة إذا تألمت أحبت، فعندما تتألم أثناء حملها لولدها وولادتها له، فهذا يدعوها إلى حب أبنائها والحفاظ عليهم.

خلق حواء:

خلقت حواء من الضلع الأعوج من أضلاع القفص الصدري لآدم، وقد أثبت الطب الحديث أنه لولا ذلك الضلع في جسم الإنسان لكانت أخف ضربة على القلب سببت نزيفاً، فخلق الله ذلك الضلع ليحمي القلب، ثم جعله أعوج ليحمي القلب من الجهة الثانية، فهو أعوج ليقوم بمهمته، ولولا اعوجاجه لسقط القلب في الأحشاء، فاعوجاجه قمة الاستقامة، واعوجاجه هو ما يميزه عن غيره.

وعلى آدم ألا يحاول إصلاح هذا الاعوجاج؛ لأنه إن فعل ذلك كسره وأفسده وأذهب فائدته.

قال رسول الله ﷺ.... (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً) (1).

(1) البخاري في صحيحه (4890)، باب الوصاة بالنساء، من حديث أبي هريرة ؓ.

ليحميمها وهو يسكن إلى عاطفتها؛ لأنه بحاجة إليها. وهذه آية ومّنة من الله عز وجل على آدم، فهو يسكن إلى إنسان مثله.

طرفة:

يقول أحد العلماء: إذا استيقظ الرجل من نومه فوجد زوجته بجواره فليحمد الله تعالى أنها إنسان يلاطفها وتلاطفه ويكلمها وتكلمه، وليست ضبعاً أو مخلوقاً آخر. * إذا أدرك الإنسان آية الله في منحة الزواج أنزل الله في قلبه المودة والرحمة، وتغلب كل زوج وزوجة على مواجهة مشكلات الحياة.

قوامت آدم:

لأن حواء جزء من آدم، فمن الطبيعي أن حواء تكون تابعة له وهو المسؤول عنها والله تعالى يقول: ﴿فَلَا يُخْرِجُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117] فهو الذي يشقى في تحصيل الرزق وتحمل أعباء الحياة بالدرجة الأولى، وعليه إكرام حواء وصونها. يقول النبي ﷺ: (أكرموا النساء، فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً) (1).

حواء والطاعة:

هذه المسؤولية من آدم يقابلها الطاعة من حواء والانقياد عن حب ورغبة لا عن قسر وإرغام.

ملامح الشخصية:

* الفطرة السليمة كما خلقها الله تعالى والتي لم تتلوث بعد بأي موروثة بشرية مضللة؛ تبدو جلية في شخص حواء. * تبدو فيها أيضاً السمات الأصلية للمرأة في احتوائها لزوجها، وإظهار حبها له، وضعفها، واحتياجها إليه بكل بساطة ويسر.

خواطر وعبر:

1- حواء واحتواؤها لقلب آدم، يجسد الصورة الحقيقية للزوجة الصالحة؛ والتي لم يفسد فطرتها المفسدون؛ فسعة الصدر ولين الجانب هما الطابع الأصل للمرأة، وما عدا ذلك هو انحراف عن الفطرة.

(1) أخرجه ابن عساکر (312 / 13).

- 2- مساواة المرأة بالرجل في التكليف والمسئولية والتشريف منذ بدء الخليقة.
- 3- اختلاف آدم وحواء اختلاف تكامل لا تنافر.
- 4- لم توجد عداوة ولا صراع في يوم من الأيام بين جنس الرجل وجنس المرأة؛ إلا عندما يستشرى الجهل والتخلف في مجتمع توارت أفكاره عن الفطرة السوية.
- 5- الزواج نعمة الله على البشر ، وآية من آياته نحمد الله تعالى عليها.
- 6- قوامه الرجل أصل في تكوينه ينبغي أن تروى بذرته منذ الصغر.
- 7- طاعة المرأة لزوجها في غير معصية لله؛ لا ينتقص من مكانتها وقيمتها .

والفة
امرأة نوح
(المرأة الإمامة)

والغة (امراة نوح)

(المرأة الإمعة)

يروى القرآن الكريم قصة نوح - ﷺ - مع قومه، ويعرض لنا مسيرته الطويلة والشاقة معهم التي استمرت ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14] كان خلالها يدعوهم إلى عبادة الله وحده، صابراً على ما كان يلقاه منهم من الأذى والإعراض والنفور، وكانت النتيجة أن آمن به البعض من ضعفاء الناس وعاداه أكابرهم؛ أما أقرب الناس إليه زوجته التي من المفترض أن تكون ممن يشدون أزره، ومن الداعمين له على المضي قدماً في إبلاغ ما أمره به ربه، فلقد اختارت السير في ركاب قومه.

ذكرها في القرآن:

وقد ذكرها القرآن مع امرأة لوط ووصفهما بالخيانة.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: 10].

و«الخيانة» في قوله تعالى ليس المقصود بها الخيانة الزوجية الجسدية، وإنما هي الخيانة الأدبية وبتر علاقات التواد والتراحم بين الزوجين بالنفاق والكفر في الدين وفي العقيدة، ذكر المفسرون - ومنهم القرطبي وابن كثير رحمهما الله تعالى - أن امرأة نوح تدعى «واغلة» وقيل: «والغة»، وقد أوصلها إعراضها عن الحق حداً جعلها تشيع عن زوجها نوح - ﷺ - أنه مجنون، ذكر القرطبي في تفسيره أنها قالت له ذات مرة: يا نوح أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم، فقالت باستهزاء: فمتى؟ قال: إذا فار التنور... فخرجت تقول لقومها: يا قوم: والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور⁽¹⁾.

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 42 / 9.

ولم تكتفِ بذلك بل وصل بها الأمر أنه إذا آمن أحد بدعوته سارعت إلى قومها وأخبرتهم ليفتنوه عن دينه.

نهاية امرأة نوح:

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه نوحًا بصنع السفينة، وكان جبريل - عليه السلام - يعلم نوحًا - عليه السلام - كيفية صنع السفينة، وكان قوم نوح وامرأته كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخرُوا وضحكوا منه، وكانوا يقولون له: أتركت عبادة إلهك، وأصبحت نجارًا تصنع الأخشاب؟

وعندما اكتمل صنع السفينة أمر الله عز وجل نوحًا - ﷺ - بأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من الطيور والحيوانات، وأوحى الله تعالى إليه أن امرأته من الغابرين يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَْلَنَأَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:40].

وهلكت امرأة نوح وابنها غرقا مع قومهما.

ملامح الشخصية:

والم تأمل في قصة هذه المرأة يجد أنها:

1. كانت مثالاً للمرأة الإمّعة، فقد فضّلت أتباع ما كان عليه قومها من عبادة الأصنام وتعظيمها على أن تستجيب لدعوة نوح - عليه السلام - الذي لم يؤمن به إلا فقراء الناس وضعفاؤهم.

2. كما كانت نموذجًا للأمم السيئة؛ لأنها بكفرها أثرت سلبًا على موقف ابنها (ريام) أو (كنعان) كما يسميه أهل الكتاب، الذي كان خاضعًا لتربيتها المنحرفة، ومتأثرًا بأجواء بيئته الكافرة التي كثر فيها المعاصي، فكان نصيبه الموت غرقًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة.

3. بالإضافة إلى ذلك كانت «واغلة» مثالاً للمرأة التي تهاونت بحقوق زوجها عليها عندما أثرت تقديم فروض الطاعة والاحترام والولاء لأكابر قومها ومجرميهم بدلاً من زوجها الذي استخفت به وبدعوته.

خواتر وعبر:

وفي قصة امرأة نوح - عليها السلام - مع زوجها نستخلص العديد من العبر منها:

1. أن الله سبحانه وتعالى قد يتلي المؤمن بزوجة-والعكس صحيح- تحاول أن تضغط عليه لتبعده عن جادة الإيمان؛ لذلك فإن الثبات على الحق وقوة العزيمة ومضاءها الأسلحة الناجعة لمواجهة مثل هذا الموقف.
2. أن للمرأة دورًا مؤثرًا على مسيرة زوجها الدعوية؛ لذلك فإن ضعف قناعتها بأمر دعوته محزن لقلبه، موهن له كثيرًا، فواغلة على سبيل المثال بدلاً من أن تشجع وترغب قومها بدعوة زوجها نوح عليه السلام وتكافح وتنافح عنه وعن دعوته إذا دعت الضرورة، أضحت بتقليدها الأعمى أداة للتغيير والتشويه.
3. أن التفاضل بين الناس لا يقوم على أساس النسب والمستوى الاجتماعي؛ بل يقوم على أساس الدين والعقيدة، وقصة نوح مع زوجته وابنه وقومه خير شاهد على ذلك.
4. من المهم أن يختار الرجل الزوجة ذات الدين كما بيّن الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي يقول فيه: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»؛ فالزوجة الصالحة هي صمّام الأمان الذي يحول دون جنوح الأبناء وسقوطهم في مهاوي المعاصي.
5. إن دور المرأة لا يقتصر على العناية بالمنزل والزوج والأولاد، بل لها دور دعوي هام خارج بيتها، فهي عامل تأثير إما إيجابي أو سلبي على المحيطين بها.
6. إن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، واللافت أن الأساليب التي استخدمت لإسكات أصوات الأنبياء سابقاً ما زالت هي نفسها التي تمارس بحق المسلمين اليوم من إطلاق التهم والدعوى الباطلة منها الجنون ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْجُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر:9] والتي استبدلت حيث استبدلوا بها (الإرهاب) أو اتباع أساليب التخويف والأذى الجسدي والنفسي ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ نَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:116]، والتي غالباً ما تصدر من أقرب الناس إليهم، والذين هم من أبناء جلدتهم ولغتهم.
- 7- إن مما دفع زوجة نوح وعوام قومها للابتعاد عن الحق هو تأثيرهم بالطواغيت وأكابر القوم وحكامهم ومجرميهم الذين يسمون في كتاب الله بـ«الملأ»، فهؤلاء لم يتورعوا عن استخدام الأساليب المغرية الماكرة، قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرُؤٌ كِبَآرًا﴾ [نوح:22] للتأثير في القاعدة العريضة من الناس معتمدين على قوى ثلاث: السلطة والمال والقوة الإعلامية والدعائية.

سارة بنت هاران
(صاحبة بشرى
الملائكة)

سارة بنت هاران (صاحبة بشرى الملائكة)

من هي سارة؟

هي سارة بنت هاران ابنة عم إبراهيم الخليل عليه السلام، امرأة كانت في غايه الجمال فكانت من أجمل النساء على الأرض بعد حواء نقيه السريرة طيبة القلب، كانت مطيعة لزوجها صابرة معه على ما يلقيه من الأذى، آمنت بنبي الله إبراهيم وصدقته عندما كذبه الناس، كانت له نعم السند ونعم النصير فتزوجها إبراهيم عليه السلام إكراماً لها وتقديرًا لجهادها معه في الدعوة إلى عبادة الواحد الأحد، وكان يحبها حبًا شديدًا، وكانت بجواره منذ البداية تسانده وتؤازره .

كرامات الكرماء:

روى عبدالرزاق عن زيد بن أسلم: أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يفدون إليه للميرة (الزاد) فوفد إبراهيم في جملة من وفد ولم يكن يجتمع به إلا يومئذ، فكانت بينهما هذه المناظرة ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطي الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كتيب من التراب فملأ عدليه (المفرد: عدل أي وعاء وجراب يحمل فيه الطعام).

وقال: أشغل أهلي إذا قدمت، فلما قدم وضع رحاله وجاء، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملائين طعامًا طيبًا، فعملت منه طعامًا فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه، فقال: أنى لكم هذا؟ قال: من الذي جاء به؟ فعرف أنه رزق رزقهم به الله عز وجل.

هاجرت معه من العراق إلى مصر بعدما أصاب أرضهم الجذب، وبعدها عانده قومه وصدوا عن سبيل الله، وهناك في أرض مصر حدث لها ولزوجها محنة شديدة.

سارة في مصر:

إن المؤمنه تضحى بحياتها ولا تضحى بشرفها أبدًا وقد حفظ الله نساء الأنبياء من هذا السوء.

(1) البخاري في صحيحه (3179)، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بلاد بيت المقدس لمدة عشرين سنة قالت سارة لإبراهيم: إن الرب قد حرمني الولد فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها الولد، فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم فحملت منه، ووضعت إسماعيل، ثم أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة فخر الله ساجداً.

ويمكن لمن حرمت نعمة الأمومه أن تتمتع بها إذا منحت حنانها للأطفال من حولها .

سارة وغيره النساء:

غارت السيدة سارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من هاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حتى إن هاجر كانت تأتي إلى سيدنا إبراهيم متخفية وتزيل آثار وجودها حفاظاً على مشاعر سارة. وهذه الغيرة طبيعية في النساء، فهكذا خلقهن الله عز وجل؛ ولكن غيرة سارة كانت مختلفة، كانت مقترنة بتقوى الله تعالى ونقاء القلب مثل غيرة نساء النبي محمد ﷺ، فلم تدفعها الغيرة إلى الظلم والتعدي، فلم تأمر زوجها بإبعاد هاجر وولدها في مكان بعيد كما يدعي ذلك البعض، فقد كان رحيل هاجر وابنها إلى الصحراء (وادي غير ذي زرع) كان أمراً من الله تعالى، وأيضاً لم تدع سارة ربها بأن يأمر نبيه بذلك كما يظن كثير من الناس؛ لأن اشتراك الزوجتين في حياة معيشية ليس بالأمر الشاذ؛ فقد يمكن أن يتعايشا سوياً دون خلافات، فهما زوجتان تقيتان.

وجاء أمر الله تعالى بإبعاد هاجر وابنها لتعمير الأرض عند البيت المحرم الذي أصبح بعد ذلك قبلة للعالمين، لقد غارت سارة من هاجر غيرة محمودة العواقب، وتمنت من أعماق قلبها أن يكون لها ولد من صلب زوجها الحبيب ليكون قرّة عين له ولها، وليكون أحاً لإسماعيل يشد من أزره ويشاركه في أمره، فسألت ربها ولم تبال بعقمها؛ لعلمها أن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء

يقول البعض إن غيره قد تكون عاملاً محفزاً لتنشيط أجهزة الإنجاب عند المرأة.

بشرى الملائكة وتكريم سارة:

اشتهر إبراهيم عليه السلام بأنه أبو الضيفان، فكان واسع الكرم مع الضيوف والأغراب، ولما جاءت الملائكة في صورة بثثن حسبهم أضيافاً، وقدم لهم عجلاً سميناً (لاحظ !!! عجلاً كاملاً لثلاثة أفراد)، وكانت سارة قائمة على رءوس الأضياف، وإن خدمة

أهل البيت في إكرام الضيوف يعد من خدمة الدين، وجهد النساء في ميدان البيت له أجر كأجر المجاهد في سبيل الله، وما من بيت خرج منه طعام لإطعام الناس أو كانت فيه الخدمة وإكرام الضيوف إلا زاده الله بركة وعطاءً، وما من بيت حبس خيره عن الناس إلا ضاق على أهله.

وقد منّ الله تعالى على سارة عليها السلام بمعجزة الحمل بعد أن ناهز عمرها التسعين عامًا، وأنزل ملائكة لتبشرها تكريمًا لها وتعظيمًا لشأنها، وأنزل على بيتها الرحمة والبركة، وقد فصل موقفها في استقبال بشرى الملائكة في أكثر من موضع في القرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿وَأَمْرَئُهُ قَايِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) قَالَتْ يَوَئِلَيَّ ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿هود: 73، 71﴾ وفي موضع آخر ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: 29].

وقد جاءت البشرية تحمل بشريات؛

- 1- أنها سوف تلد بعد هذه العمر.
 - 2- أنها ستلد ولدًا كما ولدت هاجر.
 - 3- أن الغلام سيكون، فلا يخشى عليه الموت.
 - 4- أن ابنها سيكون نبيًا.
 - 5- أنه سيولد له يعقوب وهو نبي أيضًا، وهذا ما يتمناه الإنسان بطبيعته البشرية في امتداد ذريته بعد موته وصلاحهم.
 - 6- أن الله تعالى راضٍ عنهم، وسيعمهم بالرحمة والبركة جزاء صبرها الطويل وشكرها الدائم وهذه أعظم جائزة.
- وقد توفيت سارة بالشام وهي بنت 127 سنة ودفنت في الخليل (في فلسطين الآن) وقد حزن عليها إبراهيم حزنًا شديدًا.
- لتتعلم نساء العالمين حسن التوكل على الله وعظيم الرجاء في رحمته والثقة في فضله تعالى.

خواطر وعبر:

* الإيمان بالله وحسن التوكل عليه يخفف الأعباء، ويقلل الآلام.

* الرضا بقضاء الله وقدره في الحرمان من الأمومة يمنح السعادة للمرأة ويشعرها أنها أم لكل أطفال الدنيا.

* الغيرة بين النساء أمر طبيعي ، تقوى الله تعالى تقي المرأة من الوقوع في إثم الجور والطغيان ، أو ما قد تسببه الغيرة.

* * *

هاجر – المصرية

(امرأة في

مواجهة الصَّعَاب)

هاجر - المصرية

(امراة في مواجهة الصّعب)

هي هاجر المصرية أم إسماعيل، وهي رحم رسول الله ﷺ حيث قال: (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمةً ورحماً) (1).

وكانت هاجر -ولا تزال- المثل الأعلى لوفاء الزوجة والقدوة الحسنة في طاعة زوجها وتنفيذ أوامره، فقد تحمّلت مع زوجها إبراهيم ﷺ مشاق الهجرة والأسفار والانتقال من بلد إلى بلد، فلم تتمسك بالبقاء في وطنها مصر حيث الخيرات وطيب الهواء، فهاجرت معه إلى الشام، ونزلا بمكان يسمى اسمه (السبع) من أرض فلسطين، وحفر بها بئراً واتخذ بها مسجداً، ولعل هذا المكان هو ما يسمى (بئر السبع) بفلسطين الآن.

ثم قبلت هاجر نقلها هي وابنها إسماعيل من أرض فلسطين بلد الخيرات الوفيرة والمياه العذبة إلى الإقامة في مكة؛ في صحراء قاحلة لا زرع ولا نبات ولا ماء، وأمر إبراهيم هاجر أن تقيم عريشاً فوق صخرة، ثم دعا ربه ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]، ثم انصرف إبراهيم فجرت وراءه هاجر، وهي تقول: إلى من تكلنا؟؟ فجعل لا يرد عليها فقالت: الله أمرك بهذا؟ فقال: نعم قالت: إذا لن يضيعنا.

*هل يوجد في عصرنا من تسلم أمرها لله إذا ضاق عليها عيشها كهاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟

تحدي الظروف:

كان مع هاجر شنة فيها ماء فنقد الماء، وكان جو الصحراء حاراً فعطشت، وعطش الصبي، واشتد بهما الظمأ، فنظرت أي الجبال أدنى إلى الأرض، فصعدت الصفا (ملحوظة..... جبل الصفا الآن أقل بكثير من طبيعته وارتفاعه الحقيقي عندما

(1) رواه مسلم في صحيحه (2543)، باب وصية النبي بأهل مصر، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ابتلاء الذبح

ثم يأتيها ابتلاء آخر لتتصور امرأة وحيدة ليس لها في الدنيا سوى ولدها التي شقيت من أجل تربيته على أحسن وجه، ماذا تفعل عندما ترى أباه يأتي ليزبحه؟ هل تستطيع أم أن قلبها يتحمل كل هذا؟ ولكنه الإيمان الذي كانت تحمله أمنا هاجر بين جوانبها وحبها لرب العالمين جعلها تتحمل أشد البلاءات وأكثرها قوة، واستطاعت أن تقهر الشيطان، وأن ترضى بقضاء الله تعالى في تسليم وإذعان دون ضجر ولا سخط، فرفع الله البلاء وفدى ولدها بذبح عظيم ينزل من السماء، وخلد هذا الموقف على مر الزمان ليكون نبراساً للمؤمنين في كل عصر.

ملاح شخصية:

إن ملاح شخصية هاجر عليه السلام تمثل في الغالب شخصية المرأة المصرية الأصيلة ومنها:

- * اللين والطبع الهادئ الجميل.
- * قوة العاطفة والحنان الزائد في تربية الولد.
- * الصبر وقوة التحمل في الشدائد والمحن.
- * الرضا بالقضاء والقدر.

خواطر وعبر:

- * الصبر والاستسلام عند ضيق ذات اليد ، والتوكل على الله وحده في ذلك؛ فالرزق بيد الله وحده يرزقه من يشاء.
- * الإيمان يبعث الأمل ، ويمد المرء بالعزيمة؛ فلا ييأس من حل المشكلات ، وقد أعطت لنا أمنا هاجر القدوة الحسنة في ذلك.
- * تعلمنا أمنا أيضا الإصرار ، والصبر حتى نجتاز مزالق الطريق على مدى الحياة ، وذلك في طاعة الله تعالى.
- * التحلى بالصبر عند البتلاء في الأبناء.

امراة لوط

(عجوز السوء)

امراة لوط

(عجوزالسوء)

هي..عجوز السوء... كانت امرأة عجوزاً سيئة الخلق، سليطة اللسان، لا تكتُم سرّاً، ولا تحفظ عهداً، ولم يؤثر فيها زوجها النقي النبي لوط ﷺ فكفرت بالله، وكان هواها مع قومها، فقد ألفت فحشهم وفجورهم، ورغبت عن طهارة زوجها وتقواه.

لم تفعل امرأة لوط المنكر، فقد حفظ الله الأنبياء من الفواحش، وإن الله تعالى وصفها بالخيانة للعقيدة ولزوجها، ولدعوة دين الحق لا خيانة الشرف ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...﴾ [التحریم:10].

ولعلها تستخفي وتظهر عليهم، ثم تنقل إليهم ما يسيء للرسالة والرسول، وتظاهروهم في عداوتهم، وفي ذلك كل الخيانة: خيانة الله ورسوله، وخيانة المسؤولية الاجتماعية كأم وزوجة.

يقول بعض المفسرين: إن زوجة لوط ﷺ هي التي نقلت إلى قومه خبر نزول الملائكة أضيافاً عنده في بيته نقلت الخبر على أساس ما رأت في شكلهم ومظهرهم، وهي لا تعرف حقيقتهم، فقد كانوا في صورة الفتية الحسان، وسرعان ما دخل قوم لوط بيته ونزلوا ساحته، وطلبوا منه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه يفعلون بهم الفاحشة، وكان لوط قد أخذ على أهله عهداً ألا يخبروا قومهم بأمر الضيوف.

يقال: إن امراته كانت تقف في البيت تحرض بنظراتها القوم على المنكر والسوء، غير أن أيدي السوء لم تصل إلى الملائكة وحققت على الكافرين والإباحيين لعنة العذاب.

أمر الملائكة لوطاً ﷺ وأهله أن يغادروا القرية؛ لأن الله منزل بها العذاب وأمرهم ألا يلتفتوا، وتذكر الروايات أن امرأة لوط خرجت معهم، وعندما سمعت

الصوت التفتت فأرسل الله إليها حجرًا، فأهلكها ولم يشفع لها كونها زوجة نبي إذ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المذثر: 38]، ولم يؤمن مع لوط إلا ابتاه فقط. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ فَأَوْجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: 35، 36]، وكانت قرى لوط هي: صعرة و صبعة وعمرة ودوما، وقرية سدوم هي القرية الرئيسية.

وجاء في المستدرک:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس، من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً قال: (لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكان له ابنتان، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فأنت أباها، فقالت: يا أبتاه أدرك فتياً على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحهم، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلاً، حتى قالوا: حل علينا فليضيف الرجال، فجاءهم ولم يعلم أحداً إلا بيت أهل لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومه، قالت: إن في بيت لوط رجلاً ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءه قومه يهرعون إليه، فلما أتوه قال لهم لوط: (يَا قَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون، قالوا له: أو لم نهك أن تضيف الرجال؟ (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ).

فلما لم يقبلوا منه ما عرضه عليهم، (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)، يقول صلوات الله عليه: لو أن لي أنصاراً ينصروني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم لحالت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافي، ولما قال لوط: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد بسط حينئذ جبريل جناحيه، ففقا أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً، يقولون: النجا النجا، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض، فذلك قول الله عز وجل (وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) وقالوا: يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ أَهْلُكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ) فاتبع آثار أهلك، يقول: (وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) فأخرجهم الله إلى الشام وقال لوط: أهلكوهم الساعة، فقلوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح، أليس الصبح ب قريب؟

وفي سورة الحجر يقول الله سبحانه وتعالى في حقهم أيضًا: ﴿فَاخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٣) ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤) ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٧٥) ﴿وَأَنهَا لَبِيسِيلٌ مُّقْبِلٌ﴾ (٧٦) ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿[الحجر: 73، 76].

عاقب الله عز وجل قوم لوط عقاباً أليماً؛ لعدم استجابتهم لأمر نبيهم؛ وإصرارهم على الإتيان بالفاحشة غير المسبوقة من قبل ، وأما عن امرأة لوط فبالرغم من أنها لم تفعل الفاحشة؛ إلا أنها عوقبت معهم ؛ لأنها وافقت عليها؛ ولم تتبع أمر نبيها وزوجها لوط ﷺ ؛ بل كانت تعانده وتوافق قومها.

إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ نَبِيَّهٗ أَنْ أَمْرَاتِهِ مُصِيبُهُمَا أَصَابَ قَوْمِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ۖ فَاسْـرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا ۚ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: 81]. وما الذي أصاب القوم؟ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ [هود: 82].
فإنها رُمِيَتْ بالحجارة كما رُمِيَ القوم.

إن قصة قوم لوط بمجموعها، آية من آيات الله للمؤمنين (إنَّ في ذلك لآية

(2) (موقع د/ طارق السويدان).

لللوائح الصحية الدولية كالحملَى النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز).

3. تدفن الجثة من قبل دائرة صحة المحافظة وتحت إشراف شعبة الأوبئة بالتعاون مع أمانة العاصمة أو البلديات في المحافظات في الأماكن المخصصة لهذا المرض في مقبرة المدينة التي حدثت فيها الوفاة، ولا يجوز نقل الجثة إلى منطقة خارج منطقة الوفاة.

4. سد كافة منافذ الجثة ويمنع تسرب الإفرازات منها مع لف الجثة بقمماش مشبع بمحلول مادة (الفورمالين) مع التأكد إلى القائمين على العمل بالعملية بوجوب اتخاذهم كافة الاحتياطات اللازمة لمنع انتقال العدوى.

5. توضع الجثة في تابوت معدني في قاعه طبقة خاصة من مادة كالفحم أو نشارة الخشب ومضاف إليه مادة مطهرة (الفورمالين) ويقلل جوانب التابوت وفتحاته باللحم.

6. يوضع التابوت المعدني في داخل صندوق خشبي بسمك (2 سم) وجوانبه غير قابلة لنفوذ السوائل ويحكم إقفاله بواسطة المسامير اللولبية.

7. يحفر القبر بعمق مترين مع إضافة المواد المطهرة إلى قاع القبر وإلى التراب بعد تغطية التابوت به.

8. يكون الدفن بإشراف وحضور ممثل المؤسسة الصحية، وينظم محضر خاص بالدفن وتسلم شهادة الوفاة إلى ذوي المتوفى بعد انتهاء مراسيم الدفن.

9. لا يجوز نقل جثة المتوفى بأحد الأمراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية والحملَى النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) إلا بعد انقضاء فترة سنتين من تاريخ الدفن وبعد الحصول على الإجازة الصحية الخاصة بذلك من وزارة الصحة.

ولو تأملنا الآيات النازلة بحق قول لوط من جهات كثيرة احتوتها لوجدنا أن الله تعالى جعل عقوبتهم المخصوصة بهم وقاية صحية لبني آدم فدفنهم بالأعماق وتغطيته أجسادهم بالحصى المحترق المتراكم عليهم كالخراسانات الإسمنتية دليل على إن الوقاية من الجراثيم التي يحملونها لا يُتَحَصَّن منها إلا هكذا... وأصبح دفن الموتى بمرض (الإيدز) في زماننا هذا بتعليمات مشددة كما هو مبين في التعليمات

السابقة، ومقاربة كثيرًا النوعية عقوبة قوم لوط بل نجد في خصوصية عقوبتهم إجراءات أشد وأقسى؛ لكونها عقوبة جماعية (والعياذ بالله)، واحتمالات انتشار الوباء في حالتهم أكبر وأخطر من الحالات الفردية والله أعلم⁽¹⁾.

خواطر وعبر:

* بنات لوط: بتان كانتا في قمة الطهر والعفة رغم البيئة الآسنة الفاسدة، ورغم كفر أمهما وفساد أخلاقها.

* فانتشار الفواحش والتبرج والعري في الشارع، وعلى الشاشات بشكل فج لا يكون مبررًا؛ لأن تصبح الفاحشة أمرًا مألوفًا، معتادًا؛ بل يمكن للقلب المؤمن الطاهر من بناتنا أن يحتفظ بنقاوته وطهارته وسط هذا القذر عندما يستعصم بالله العزيز الحكيم.

* كل امرئ بما كسب رهين؛ فلم يشفع لامرأة لوط أنها زوجة نبي؛ ولم تنج من العقوبة مع قومها.

* إن من لم ينكر المنكر مطلقًا، ويبدئ موافقته عليه، يشترك مع فاعله في الإثم، واستحق بذلك العقوبة، كما حدث مع امرأة لوط.

* * *

(1) موقع د/ طارق السويدان.

رعدة امرأة

إسماعيل عليه السلام

(الزوجة المثالية)

رعدة امرأة إسماعيل ؑ

(الزوجة المثالية)

إعلان هام:

شاب في مقتبل العمر، يبحث عن عروس مثالية بها كل صفات الزوجة الصالحة التي هي متاع الدنيا، يريد لها مثل رعدة ؑ زوجة إسماعيل ؑ فهل يوجد رعدة في هذا العصر؟؟

ترى من هي رعدة؟ وما قصتها؟.

هي رعدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية، تزوجها إسماعيل وكانت الزوجة الثانية بعد أن طلق زوجته الأولى.

قصة طلاق الزوجة الأولى:

كان اسمها صدى بنت سعد.

لما بلغ إسماعيل ؑ الثامنة عشرة من عمره تزوج هذه الفتاة من جرهم، وجاء إبراهيم ؑ لزيارة ابنه ولم يجده. وسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا رزقاً، ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم؛ فقالت: نحن بشرٌ وفي ضيق وشدة، وشكت إليه، فقال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، وفهم إسماعيل رسالة أبيه فطلق هذه المرأة.

ولقد تبين لإبراهيم ؑ وهو الفطن اللبيب أن هذه الزوجة فظة غليظة لم تحترم سنه، ولم توقر شيبته، ولم تقدم له أدنى شيء من الضيافة لبخلها، ولم يلق منها غير الشكوى.

إنها لا تحمد الله تعالى، ولا تقنع بما عندها وأدرك أنها لا تصلح أن تكون أمّاً للذرية التي وعده الله بها لتحمل رسالته إلى مشارق الأرض ومغاربها.

قصة إبراهيم ؑ مع رعدة:

وبعد عامين تافت نفس إبراهيم ؑ للحج وزيارة ولده إسماعيل؛ فشد الرحال

وتبين لإبراهيم عليه السلام أنها ذات لطف وذكاء، كريمة مع الضيف، حامدة شاكرة لله على نعم الله عليها وعلى زوجها.

واطمأن إبراهيم عليه السلام إلى تلك الزوجة الوفية الصابرة الشاكرة، وتوقع أن ذريته ستكون منها؛ فحمد الله عز وجل، وكر راجعاً إلى حبرون، وهي البلدة التي يسكن فيها مع زوجته سارة.

لقد كانت رعدة هي الولود الودود، التي أمر رسول الله ﷺ بالزواج بمثلها لياهي بنا الأمم يوم القيامة، فقد ولدت اثني عشر رجلاً ، ومنهم نشر الله العرب. وكان عمر (إسماعيل) فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة، ونبأ الله (إسماعيل) فبعثه إلى العماليق وقبائل اليمن.

ملامح الشخصية:

فتاة بدوية بسيطة ، هادئة ودودة ، تتمتع بحسن الخلق من البشاشة وكرم الضيافة ، واحترام الكبير ، تحفظ السر وتقنع بما كتبه الله لها.

خواطر وعبر:

1- الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة، ورعلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت ولا زالت مثلاً لها ومن أهم صفاتها:

أ- حفظ أسرار البيت، فلم تخبر كل من يطرق بابها بما قد تعانيه أو تستاء منه، ولم تنشر جميع أخبارها ليعلمها القاصي والداني كما يفعل بعضهن.

ب- القناعة والرضا بما قسمه الله تعالى، فالحياة في قلب مستمر، والله هو الذي يقدر الرزق ويبسطه، والزوجة الصالحة هي التي تذكر النعمة دائماً، وذكرها هو شكرها، ولكن الكثير من الزوجات لا تذكرها إما خوفاً من الحسد أو لنكرانها إياها (وهؤلاء ممن يكفرن العشير) وقد تقارن نفسها بغيرها ممن هي أكثر منها مالا فلا تتقنع، وأما رعلة فقد ذكرت ما عندها من الخير، وفعلت كما أمر الله تعالى: (وأما بنعمت ربك فحدث).

ج- عدم الشكوى التي قد تفسد الحياة الزوجية وتعكر صفوها كما يفعل البعض منهن فتفضح زوجها وتلاحقه بذكر عيوبه في كل مكان، ولكن رعلة حرصت على إبداء زوجها في أفضل صورة، وأنه لم يقصر معها في شيء، وكأنها أظهرت الشاء عليه.

د- توقير الكبير والرحمة به بشكل عام، وأحياناً تضيق المرأة بحماها أو حماها فتعرض زوجها على إهمالهما والتقصير في حقهما، وتدعوه إلى العقوق فيذل ويخزى.

(ليس منا من لم يوقر كبيرنا).

2- الكرم شيمة الصالحين والأنبياء وهو قيمة عظيمة (...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...)، والكريم قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة، بعيد عن النار.

3- آداب الضيافة

من هذه الآداب أن تخدم ضيفك بنفسك حتى لو عندك الخدم، وهو قمة الكرم فهو جود بالنفس والمال معاً.

وقد أحسنت صنعاً أمنا رعلة عندما ساعدت الشيخ في غسل رأسه بعد ما قدمت له

أطيب ما عندها من طعام وشراب، وقابلته بالبشاشة والترحاب الذي هما أعلى
ثمنًا من الطعام.

4- أمر إبراهيم بتطليق الابن زوجته أمر يجب توضيحه، فهو نبي كريم، وهو خليل
الله، وليس كل الناس كذلك، وأعتقد أنه ليس من الإحسان أن يطلب والد ذلك،
وأنه أحيانًا لا يراعي الأب اختلاف الأجيال والزمان كما أن كل أب لا يملك ما
يملكه إبراهيم من البصيرة والحكمة..

* * *

راعيـل – امرأة

العزير

(الجميلة في المنبت السوء)

راعييل - امرأة العزيز

(الجميلة في المنبت السوء)

النشأة والبيئة:

اسمها راعييل - وهي امرأة عزيز مصر (رئيس مجلس الوزراء - أو وزير المالية في العصر الحديث) والذي يقوم على خزائن الأرض، واسمه قطفير - وكان ملك مصر وفعرونها في ذلك الوقت هو (الريان بن الوليد).

ذكر الطبري أن قطفير كان رجلاً لا يأتي النساء، وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودينا، كما ذكر أن عمر يوسف عليه السلام عندما أُلقي في البئر 17 عامًا، وأنه أقام في منزل العزيز 13 عامًا، فلما اشترى العزيز يوسف عليه السلام قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21].

فيبدو أن العزيز وامرأته لم يرزقا أولادًا، وأن هناك حالة يأس أو شبه يأس من الولد - فمن المتوقع أن يكون رئيس وزراء مصر لا يقل عمره عن 40 عامًا، وأن زوجته حوالي 30 عامًا.

ونحاول أن نتصور البيئة التي عاشت فيها امرأة العزيز - فهي من طبقة أرستقراطية شبه منعزلة عن باقي المجتمع من الطبقات الكادحة، فقد عاشت في جو القصور حيث الخدم والحشم وجمال المنظر والشكل، والمشهد الذي يصور امرأة العزيز وهي تستضيف صديقاتها وأنها أعتدت لهن متكأ وأعطت كل واحدة منهن سكيناً على مائدة الطعام يوحي بمدى تطور الحضارة في ذلك العصر، ومستوى التنعم الذي كانت تعيشه امرأة العزيز - هذا مع الفراغ النفسي والعقلي، فلا ولد ولا زوج يحقق السكن، ولا انشغال بقضايا المجتمع، والمساهمة في حل مشكلاته من أعمال بر وخير، ولا إيمان وورع يكبح جماح الشهوة، ويحيي الضمائر ويرفع النفوس والعقول.

نتوقع أن تكون قصتها مع يوسف قد بدأت في سن (30 - 40) وأن يوسف 25 عامًا أو حواليها.

وقد كانت حياة القصور مغلقة، لا يكشف عما يدور بداخلها، وكل ما يهم رب البيت المظهر الخارجي فقط، ولا مانع من وجود فواحش داخل القصر، المهم ألا تخرج عن جدرانها، هذه هي بيئة امرأة العزيز التي عاشت فيها لكي نعرف ما كان يدور بخلدها.

كيد النساء:

إن كيدهن عظيم.. هي صفة وطبيعة في كثير من النساء وهي القدرة على الحيلة والمكر والخداع، فهل هي صفه محمودة أم مذمومة؟
أرى أنها إذا استعملت في الخير تكون محمودة، فالمرأة عندها قدرة فائقة على كسب قلب زوجها إن أرادت هذا؛ عندها قدرة فائقة على مصاحبة أبنائها ومراقبتهم ورعايتهم دون أن يشكوا في إخلاصها لهم؛ عندها قدرة فائقة على حسن الصلة بأهل زوجها وتحسين العلاقة بين زوجها وأهلها.. وهكذا.
وأما عندما يخلو قلب المرأة من الإيمان بالله وخشيته فسلح الكيد لديها يكون بمثابة القنبلة الموقوتة التي تفجر الشر تفجيرًا.

ألوان الكيد في قصة امرأة العزيز:

1- مراودة فتاها عن نفسه:

لقد غلّقت الأبواب، وقالت: هيت لك، ولم تكن هذه مفاجأة بلا تهديد في إغراء طويل، فكان أمر التصريح بمثابة الدعوة الأخيرة بعدما نصبت شباكها على مدى سنوات طويلة.

وكثيرًا ما نجد في عصرنا امرأة تنصب شباكها حول رجل متزوج أو غير ذلك، وقلما يصمد الرجل إلا إذا استعصم بالله تعالى، فهو حقًا كيد عظيم، ولا تفعل ذلك إلا من محيت التقوى من قلبها.

2- إلقاء التهمة على يوسف:

وهذا هو قمة الجبروت أن تلبس المجني عليه التهمة، وكثيرًا ما تفعل ذلك النساء غير الفضليات في خصومهن.

3- الكيد للنسوة:

وهذا الكيد يدل على أن امرأة العزيز كانت لا تفكر إلا في هذا الأمر؛ بحيث وجهت

كل طاقتها وفكرها وقوتها في الحيلة والمكر تجاه هذا الأمر.
وكيد النساء بعضهن لبعض مشهور في كل عصر؛ حيث إن المرأة تحب أن تبدو في صورة جيدة أمام قريناتها، وتحب أن تتعالى عليهن وتغيظهن بشتى الوسائل.
ولكن في حالة امرأة العزيز يبدو أن المجتمع والطبقة الأرستقراطية بالذات كانت في انحلال أخلاقي كبير لدرجة أن إعلان الفاحشة فيه أمر طبيعي، كان حديث النساء من قبل في لومهن لامرأة العزيز، لا لأنها تقدم على الفاحشة؛ ولكن لأنها راودت فتاها عن نفسه وهو خادمها وأقل منها في المكانة، وعندما كادت لهن امرأة العزيز أرادت أن يعذرنها في رغبته، ثم حدث ما أرادت، وأخذ النسوة يطلبن من يوسف الاستجابة لسيدته؛ بل إنهن راودنه كذلك عن نفسه، وأخذن يحسدنها على وجود هذا الفتى عندها.

فالإنسان بلا إيمان وبلا صلة بالله تعالى يصبح كالحيوان الذي لا يعرف من الدنيا سوى شهوته.

4 - الكيد لإدخال يوسف السجن؛

بعد أن شاع خبر راعيل بين الناس وافتضح أمرها، وبعد أن امتلأ قلبها غيظًا من يوسف لعدم استجابته لرغبتها المحرمة دبرت له مكيدة جديدة؛ وذلك بأن قالت لزوجها لتوغر صدره ضد يوسف - كما ذكر الطبري - (إن هذا العبد قد فضحني بين الناس، يعتذر إليهم لخبرهم أنني راودته عن نفسه، ولست أطيع أن أعتذر بعذر، فإما أن تأذن لي أن أخرج إلى الناس وأعتذر علنًا، وإما أن تحبسه كما حبستني في البيت) فحبسه بعد علمه ببراءته، وعلم النسوة جميعًا ببراءته دفعًا للتهمة عن امرأته، فأهم شيء عند العزيز سمعته وهيئته أمام الناس فحسب.

وإذا عجز رجال البيوتات عن صيانة بيوتهن ونسائهن فإنهم ليسوا بعاجزين عن سجن فتى بريء، كل جريمته أنه لم يستجب، وأن امرأة من الوسط الراقي قد فتنت به وشهرت بحبه ولاكت الألسن حديثها في الأوساط الشعبية.

هذه هي المرأة عندما تنجرد من الإيمان، تستطيع أن تلبس الحق بالباطل، ولكن صدق الإيمان يدعو صاحبه لأن يلهج بهذا الدعاء: (اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه).

مرت السنوات في السجن -حوالي

مرت السنوات في السجن -حوالي سبع سنوات أو تسعة- ثم أظهر الله تعالى براءة نبيه يوسف عليه السلام وبعد طول كتمان راعيل لما وسوس به الشيطان لها في نفسها من فعل سوء، وبعد كثرة مؤامراتها وكيدها ليوسف وخداعها لزوجها، ضاق صدرها بما تخفيه، وانهارت أمام انتشار خبرها بين الناس، ولم تعد تقوى على الإنكار بعد اعتراف النسوة اللاتي قطعن أيديهن أمام الملك، وأخيرًا صحا ضميرها، واعترفت بكل شيء، وأكدت صدق يوسف، وقالت راعيل لزوجها العزيز: ﴿الْفَن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

الإعانة أف بالخطأ هـ والن

الاعتراف بالخطأ والندم عليه هو أول خطوات التوبة وقد قالت: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53].

وبعد أن ظهر الحق، تبدلت الأحوال وعيّن الملك يوسف أميناً على خزائن مصر وفوّض إليه أمر مصر، وعزل قطفير زوج راعيل عما كان عليه، وعين يوسف مكانه، ثم مات قطفير عن قريب قريب فزوج الملك يوسف براعيل، فلما دخل عليها قال لها: (أليس هذا خير مما كنت تريدني مني) فقالت له: (أيها الصديق إنها كانت وساوس الشيطان، وقد ندمت واعترفت بالحقيقة وتبت فسامحني).

وهكذا فإن باب التوبة مفتوح أمام كل راعيل في كل عصر، وقد وصف الله لنا هذا النموذج المتكرر من النساء حتى نأخذ منه العبرة ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111].

وحتى نتجنب و

وحتى نتجنب وجود رواعيل في مجتمعنا علينا الآتي:

- 1- تربية البنات منذ نعومة أظافرهن على الصلة بالله، وخشيته في السر والعلن.
- 2- توجيه المجتمع إلى محاربة التبرج والتبذل والاختلاط غير المنضبط.
- 3- تربية البنات على عدم الإفراط في التدليل (اخشوشنوا فإن النعمة لاتدوم).
- 4- تثقيف البنت وربطها بقضايا المجتمع ومشكلاته.

- 5- شغل وقت فراغ البنت فيما يفيد (علم، عمل خيري، مهارة....)
- 6- توجيه نظر العلماء إلى توجيه خطابهم إلى الطبقة الراقية في دعوتهم وأحاديثهم.
- 7- انتباه الأهل إلى صديقات بناتهم؛ فالصحبة لها أثر بالغ في التأثير.
- 8- لفت نظر البنات لتجارب الأخريات؛ لأخذ العبرة من ذلك وكذلك تجارب من تكبرهن سنًا.
- 9- الاهتمام بالمرأة وتربيتها حتى تستعمل مواهبها وطاقاتها في الخير.

* * *

بلقيس ملكة

سبأ

(الملكة العاقلة)

بلقيس ملكة سبأ

(الملكة العاقلة)

الملك والذكاء:

هي ملكة من ملكات سبأ، وكانت الأرض تسمى أرض صارب على بعد 3 أميال من صنعاء، وُلّيت الملك بعد موت أبيها الهدهاد بن حارث بن يعرب بن قحطان؛ وذلك في القرن 17 قبل البعثة.

وقد ساست قومها سياسة حكيمة، وأشاد القرآن بها وقصّ علينا طرفاً منها؛ لقد تميزت بالعقل الرشيد والذكاء النادر، فخضع الناس لحكمها وأسلموا لها قيادتهم. ولقد قرأ النبي ﷺ على الناس في مكة سورة النمل، وقصّ عليهم في هذه السورة قصة ملكة سبأ التي قادت قومها إلى الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها؛ وقد أخبرنا الله تعالى أنها ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:23]، أي: كل ما يحتاج إليه الملوك لتدبير الملك وأن... (لها عرش عظيم) والعرش العظيم كما وصفه ابن كثير عبارة عن سرير عظيم تجلس عليه وطوله 80 ذراعاً، وعرضه 40 ذراعاً، وكان من ذهب مفصص بالياقوت الزبرجد واللؤلؤ، وكان لها من نساء الخدمة 600 امرأة⁽¹⁾.

كان عرشها في قصر عظيم مشيد رفيع البناء له 360 طاقة من مشرقه و من مغربه، وُضع بناؤه على إن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباح مساء.

كل ما يشين هذه المرأة هو أنها تسجد وقومها للشمس من دون الله، فلما جاء الهدهد بهذه المعلومات إلى نبي الله سليمان ﷺ أرسل معه رسالة موجزة في عباراتها إلى هؤلاء القوم وملكتهم لكنها قويه في معناها، ونص هذه الرسالة من القرآن: ﴿يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:31،30].

وكانت بلقيس قارئة وكاتبة عربية..

(1) انظر: تفسير ابن كثير 6/ 189.

فهو إذا ملك من ملوك الدنيا يسهل أمره وإن لم يقبلها فهو لا يأبه بالمال وعرض الدنيا، فتكون بذلك قد عرفت حقيقة أمره.

لقد رفقت بالشعب عندما اتخذت قرار السلم والصلح، ولما ذهب الرسل بالهدايا إلى سليمان عليه السلام أبهرهم ما رأوا من الملك والقوة التي تفوق ملكهم، فنقلوا ذلك إليها بالطبع.... وكما أرجعوا الهدية التي رفضها النبي سليمان عليه السلام.

وأوحى إليهم أنه قادم بجنود لا قبل لهم بها ولا طاقة، والملكة تعرف ذلك حق المعرفة، وتوقن أنها ستخوض حرباً غيوتكافئة فضلاً عن أنها مالت بقلبها نحو الإيمان، وأدركت أنها لا بد أن تستجيب لداعي الإسلام وتدخل في دينه.

قصة العرش:

علم سليمان بعزمها عن طريق الوحي والإلهام فاستشار الملائكة في الإتيان بعرشها، ويبدو أنه اتخذ ذلك وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلى الإيمان بالله والإذعان لدعوته.

ويعد الإتيان بالعرش شيئاً معجزاً للأسباب الآتية:

1 - المسافة بين مكان بلقيس (في اليمن) ومكان سليمان في بيت المقدس تستغرق وقتاً طويلاً في نقل العرش، في حين أتى به سليمان في طرفة عين.

2 - لأن الملائكة وضعت العرش قبل أن تغادر بلدها تحت حراسة مشددة حتى تحافظ عليه، فلما وصلت الملكة إلى سليمان قال: ﴿نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 41]، ولعل هذا اختبار منه لذكائها وتعرفها عندما تفاجأ بالعرش وقد سبقها إليه.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: 42] فكانت مفاجأة ضخمة لا تخطر لمملكة على بال، ولكن العرش عرش رغم التنكير والتغيير، ترى تجيب بالنفي أم بالإثبات؟ فردت ردّاً يدل على الفراسة وسرعة البديهة ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: 42]، إنه جواب ذكي لا ينفي ولا يثبت.

ثم شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت.. ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: 43]، وكان سليمان قد أعد للملكة مفاجأة أخرى حيث دعاها إلى دخول القصر وكان القصر مُمرّداً (أي أملس) ومصنوع من القوارير (أي الزجاج)،

وكان هذا دأب بلقيس... ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32] وما خاب من استشار وما ندم من استخار.

3 - الشعور بالمسئولية تجاه الرعية، وقد بدا ذلك عندما قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: 34] والنبى ﷺ يقول... (والمرأة في بيتها راعية ومسئولة عن رعيته) فمن العقل أن تؤثر مصلحة الصغار وتتعالى على سفاسف الأمور.

4- عدم الاستجابة للرأي المندفع الذي يحرض على الغضب أحياناً، فقد قال لها قومها: (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد...) ⁽¹⁾ ولكنها لم تتأثر بذلك... وكثيراً ما نرى امرأة تستجيب لمن يوقع بينها وبين الآخرين.

5-اللين من خصائص الشخصية القوية، والهدية وسيلة بارعة في كسب الأشخاص، فحبذا لو استخدمتها المرأة في كسب زوجها وأهله، فالغلظة والشدة لا يكونان من الحكمة في كثير من الأحيان.

6- البقاة فف الرد وءءم الاءءاف (قالء كأءه هوء) فكككراً ما اءءء مككلاء كبكراء للمرأه بسبب أسلوب ءءككها أو كلماءها اللاءءة المءسرة.

7- من العقل أنها قالت: (أسلمت مع سليمان) فقد فهمت منذ اللحظة الأولى لإسلامها أن الإسلام يجعل المرء لا يُذل إلا لله.

امرأة بهذه العقليه لم تتكبر على سليمان؛ لأنها أدعت لرب سليمان، وأيقنت أن الملك كله لله، وليس لأحد من البشر منه نصيب إلا بإذن الله.

وإذا أيقنت المرأة التي تطيع زوجها أنها تطيع ربها في الأصل فتصبح حياتهما أكثر سعادة

خواتر وعبر:

1) ذكر امرأة عظيمة مثل بلقيس في القرآن المكي؛ وهى في أوج ملكها وقمة حكمتهما؛ لهو دلالة على صدع القرآن - في مهد الدعوة الإسلامية بقيمة المرأة وعظمتها في عصر كانت تعد المرأة فيه أقل قيمة من الحيوان؛ بل والجماد.

(2) في ذكر خبر بلقيس في القرآن إشارة إلى جواز تولي المرأة المناصب العليا في الحكم؛ بشرط استحقاقها لذلك؛ وكفاءتها التي قد تفوق كفاءة الرجال

(3) العقل، هبة الله تعالى، والحكمة رزقه الوافر عندما تهدي إلى الإيمان.

(1) البخاری فی صحیحہ (2278)، باب العبد راع فی مال سیدہ، من حدیث ابن عمر رضی اللہ عنہما.

ناعسة زوجة

أيوب عليه السلام

(الزوجة الوفية)

ناعسة زوجة أيوب عليه السلام

(الزوجة الوفية)

من هي زوجة أيوب عليه السلام ؟

يقال: إن اسمها كان ناعسة، ويقال: ربحة، وذكر القرطبي أن اسمها كان ليا، وأنها كانت ابنة يعقوب عليه السلام.

كانت امرأة شديدة الجمال حسنة الخلق حليلة وهادئة الطبع.

حياتها مع زوجها:

عاشت مع زوجها أيوب عليه السلام وقد أنعم الله تعالى عليهما فبسط عليهما الدنيا حيث كان أيوب عليه السلام يمتلك أراضٍ واسعة في الشام، وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيول والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وقد أنعم الله عليه بالمال والولد، وأسبغ عليه من الصحة والعافية.

الابتلاء:

يذكر القرطبي أن إبليس -لعنه الله- سمع تجاوب الملائكة بالصلاة، وذلك حينما ذكره الله تعالى وأثنى عليه فأدركه الحسد، فسأل الله تعالى أن يسلطه عليه ليفتنه ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بُئْسَ وَعْدًا﴾ [ص: 41]، فابتلاه الله تعالى بفقد ماله وأولاده كلهم، ثم ابتلاه بالمرض الشديد حتى أنتن جسده، وخرج في مكان خارج القرية، وأصبح لا يقربه أحد إلا زوجته -لعله كان لديه مرض جلدي بالإضافة إلى أمراض باطنية.

لقد ابتلاه الله تعالى من الضر في ماله وجسده وولده حتى لم يبقَ من جسده مغرز إبرة سليماً سوى قلبه، ولم يبقَ له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه، غير إن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحو 18 سنة.

وكانت لا تفارقه صباحاً ولا مساءً إلا بسبب خدمة الناس.

هل ترؤف لحاله وتسامحه وتلتمس له العذر أم تغضب وتتركه في حالته؟
 لم تفعل ذلك ناعسة... لذلك أكرمها الله عندما أوحى إلى أيوب بأن يأخذ ضغثاً
 (شمرأخ فيه مائة فرع) فيضربها به ضربة خفيفة حتى لا يؤذيها، وفي نفس الوقت يكون
 قد أبر بقسمه، فانظر إلى رحمة الله بهذه السيدة، فما كان جزاؤها بعد هذه الخدمة
 التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، وذلك تكريماً لها على صبرها
 بذكر ذلك الموقف في القرآن الذي يتلى إلى يوم القيامة، فقد قال تعالى ﴿وَحَذِّبْكَ
 ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص:44].

رفع البلاء وفرحة الزوجين:

لما رأى أيوب نفسه وحيداً بعد أن طرد امرأته وأحس بالعجز التام فنادى ربه في تأدب
 ولطف: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء:83]، فأجابه الله تعالى:
 ﴿أَرْكَضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسِلُ بَارِدٍ وَشَرَابٌ﴾ [ص:42].

يذكر ابن كثير أن الله أمر أيوباً - ﷺ - أن يركض الأرض برجله ففعل، فأنبع الله
 له عينا، وأمره إن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في جسده من الأذى - لعل هذه
 عين من العيون الكبرى الموجودة في مصر والتي تستخدم للاستشفاء.
 ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى، وأمره أن يشرب منها
 فأذهبت جميع ما في بطنه من سوء، وتكاملت فيه العافية ظاهراً وباطناً.
 ولما رآته زوجته لم تعرفه، فلما أخبرها بالحال كانت الفرحة غامرةً وحمداً الله
 تعالى حمداً كثيراً وعرفاً فضله ومنته.

ذكر ابن كثير ما رواه البخاري عن رسول الله ﷺ: بينما أيوب يغتسل عرياناً خر
 عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب ﷺ يحنو في ثوبه فناده ربه عز وجل أن يا أيوب
 ألم أكن أغنيك عما ترى فقال ﷺ بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك (1).
 وفي ذلك معنى حب الله تعالى وابتغاء بركته لا ابتغاء المال والدنيا، وعن أبنائه
 (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم).

قال قتاده أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم.

(1) البخاري في صحيحه (3211)، كتاب الأنبياء، من حديث أبي هريرة ؓ.

ملامح الشخصية:

هي امرأة شديدة الجمال ، حسنة الخلق ، هادئة الطبع ، شديدة الحب والحب والوفاء لزوجها ، مطيعة مخلصه له .

خواطر وعبر:

- * حب الزوجة لزوجها وطاعتها له يفتح لها وليتها باب السعادة في الدنيا والآخرة .
- * الوفاء والاخلاص ثمرتان طبيعيتان للحب والود بينهما ، مع حسن الخلق ، والطاعة في غير معصية لله تعالى .

* * *

يوكابد – أم

موسى

(الأم القدوة)

يوكابد - أم موسى

(الأم القدوة)

هي: يوكابد بنت هاند بن لاوي بن يعقوب عليه السلام كما هو مشهور في كتب التاريخ والسير.

كرمها الله تعالى بأن أشار إليها في القرآن وقص علينا طرفاً من سيرتها في سياق قصة ولدها موسى عليه السلام ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ...﴾ [طه: 38، 39].

فقد ألقى الله تعالى في روعها وألهمها بالتصرف السليم الذي تنجى به ولدها من زبانية فرعون؛ حيث أمر فرعون ببني إسرائيل ألا يولد فيهم غلام إلا ذبحوه ولم يكن ذلك التصرف مجرد فكرة يصحبها القلق والخوف وإنما أرشدها الله تعالى لما يطمئن به قلبها فأوحى إليها:-

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَا ۖ وَجَعَلْنَاهُ مِن مَّرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

فكان ذلك التصرف ضرباً من التوكل على الله والثقة في قضائه؛ حيث إن الله تعالى وعدها أنه سيعيده إليها سالماً لم يمسه سوء وبشرها بأنه سيكبر في حجرها ويبلغ مبلغ الرجال ثم يجعل نبياً مرسلًا ^١ ويا له من وعد كريم.

أم ترى ولدها في اليم

ظلت أم موسى ترضع ولدها مدة فلما أدركها الخطر ورأت زبانية فرعون مقبلين فأسرعت بأن وضعت في تابوت محكم كانت قد أعدته له من قبل وألقته فيه كما أمرها ربها عز وجل وقذفته في اليم بعد ما ربطته بحبل رفيع حتى تستطيع أن ترده إليها إذا زال الخطر وفي أحد المرات أفلت الحبل وانقطع فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار بيت فرعون فخرجت جوارى (آسية) امرأة

لها الوليد لترضعه فتناول ثديها وامتصه بسهولة ويسر ففرحوا بذلك فرحاً شديداً

وعد الله يتحقق:

وقالت امرأة فرعون لها: اسكني معنا في هذا القصر لترضعي هذا الوليد فاعتذرت بأنها لا تستطيع أن تعيش معهم في هذا القصر، ولها زوج وأولاد وطلبت منهم أن تصحبها إلى بيتها فأجابوها إلى طلبها وأرسلوه معها وأغدقوا عليها وأوسعوا لها العطاء وعاش الوليد مع أمه في أمن ورخاء حتى لقيت ربها عز وجل

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾

[القصص:13].

ملامح الشخصية:

هي امرأة سليمة القلب، شفافة الروح، جياشة العاطفة، حنون على ولدها، قد عرفت ربها حق المعرفة وتوكلت عليه حق التوكل فألهمها رشدًا وآتاهم تقواها وأكرمها غاية الإكرام.

خواطر وعبر:

* إذا كانت أم موسى أمًا ملهمة، فإن أي أم تستطيع أن تشعر بأبنائها وقلوبها يحدثها بأحوالهم وظروفهم إذا كانت فطرتها سليمة وكانت موصولة بالله تعالى تهتم بأبنائها، وتدعو لهم، وتحرص عليهم وترجو هدايتهم.

* عاطفة الأمومة آية من آيات الله خلقها الله في قلب كل أنثى فينبغي ألا تخفي الأم عاطفتها عن أبنائها بل تبديها لهم ليتمتعوا بها ولتؤتي ثمرتها في تربيتهم وتؤدي دورها في إصلاحهم وتهذيبهم.

* ففع الله تعالى شأن الأم وأعلى قيمتها بذكرها في القرآن الكريم وضرب لنا مثلاً للأم المثالية العظيمة (أم موسى) لنقتدي بها وذكرها في القرآن هو تكريم لكل أم تحنو على أبنائها وترعاهم حق رعايتهم.

* تعتز الأم بأبنائها وتفخر بهم وتحس بنجاحها عندما تراهم شباباً صالحين ومصلحين وها هي أم موسى قد نجحت نجاحاً باهراً فهي التي ربّت النبيين العظيمين موسى وهارون اللذان ساهما في تغيير وجه الأرض ونشرا فيها الإيمان والتوحيد.

* كذا نجحت في تربية الابنة كلثم (أو مريم) على خفة الحركة وسرعة البديهة وحسن التصرف والشعور بالمسؤولية.

* إذا كان الله تعالى قد ربط على قلب أم موسى لتكون من المؤمنين فعلى كل أم أن تتقرب إلى الله تعالى وتسأله رضاه لتحظى بذلك الفضل وهذه المنة فيربط الله تعالى على قلبها إذا رأت ابنها في مرض أو شدة أو يسقط شهيداً أو تبتلى بفقده، فالقوة والصبر منحة الله تعالى.

* فساد المجتمع يؤثر لا محالة في الأبناء مما يجعل الأم تدافع وتناضل لإصلاح أولادها وتشعر أنها تسير بهم ضد التيار ولقد كان هذا هو شأن أم موسى إذ نشأت أبنائها نشأة سوية رغم فساد المجتمع من حولها فقد أدى ظلم فرعون وطمغيانه إلى فساد بني اسرائيل وسلبيتهم وأنانيتهم وتغير فطرتهم السوية الأبية في حين نشأت أم موسى أبنائها على الإيجابية ورفض الظلم والاستبداد وتغيير المنكر بكل وسائله وربتهم على الإيمان بالله وحسن التوكل عليه.

* وإذا أخذت كل أم (أم موسى) مثلاً تحتذي به فعليها بالآتي :-

- حسن التوكل على الله في تربية الأبناء والدعاء المستمر لهم
- الأخذ بجميع أسباب إصلاح الأبناء وحمايتهم من الفساد
- الثقة فيما عند الله تعالى
- إشباع حاجة الأبناء إلى الحب والحنان بما لدى الأم من عاطفة الأمومة.

**صفورا (امراة
موسى)
(الفتاة المثالية)**

صفورا (امراة موسى)

(الفتاة المثالية)

من هي؟

هي صفورا بنت شعيب بن نوفل بن مدين وهي الفتاة الحبية الأريية صاحبة الطهر والاحتشام والتي ارتضاها الله تعالى خليلة لكليمه موسى عليه السلام.

كانت صفورا تعمل وأختها برعي الأغنام حيث أن أباهما كان شيخاً كبيراً لا يقوى على العمل فكانت وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء حين تذهبان لسقي الغنم من البئر، وتتأذيان من الاحتكاك الذي لا بد منه لكل من تزاوّل أعمال الرجال.

مرودة نادرة:

وفي أحد الأيام ذهبت صفورا وأختها لسقي الغنم وكعادتهما كانتا تمنعان غنهما عن ورود الماء فلا تسقيان حتى يسقي الرعاء من الرجال وينتهي الزحام.

وإذا برجل طويل، ضخمة البنية، حافي القدمين، غريب عن المدينة يبدو عليه إعياء السفر يقدم بالقرب من الماء فلما رآهما نظر إليهما متعجباً.. إذ إن الأولى عند ذوي المروءة أن تسقي المرأتان وتصدرا أغنامهما أولاً وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما؛ فتقدم إليهما ليسألهما عن أمرهم الغريب

(قال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)

فأطلعتاه على سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورد، فثارت نخوة موسى عليه السلام ولم يسترح المسافر المنهك المكدود، بل تقدم ليسقي المرأتين أولاً كما يجب أن يفعل الرجال ذوو الشهامة وهو غريب في أرض لا يعرفها ولا سند له فيها ولا ظهير وهو متعب قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف (فسقي لهما) مما يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت على عين الله، كما يشي بقوته التي ترهب حتى وهو في إعياء

موسیٰ فاکل.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 25]، فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن، كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، فأعطاه الشيخ الوقور الأمان وألقى في قلبه الطمأنينة وذكر له ألا سلطان لهم على مدين فلن يصلوا لمن فيها بأذى أو ضرر.

الزواج المبارك:

رأت صفورا من قوة موسى عليه السلام ما يهابه الرعاة فيفسحون له الطريق ويسقي لهما وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، كذلك رأت من أمانته ما يجعله عفو اللسان والنظر حين توجهت لدعوته مما جعلها تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك، وهو قوي على العمل، أمين على المال، فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه، وهي لا تتلثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ولا تخشى سوء الظن والتعمة فهي بريئة النفس نظيفة.. الخ

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتِجْرَاهُ ۖ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلاً فطرياً سليماً صالحاً لناء أسرة.

والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طيبة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الغايتين فعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنوات فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الفصل: 27].

وهكذا عرض الشيخ ابنته على الرجل في غير تحرج ولا إلتواء فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه.

والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة وتخضع

3- ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23]. خرج الفتاتان ولم تتكاسلا ولم تستسلما للظروف التي أحاطت بهما.

4- لم تمنع الفتاتان في الرد على موسى ﷺ عندما سألهما (ما خطبكما) فلم تتردد إحداهما أو تتلجلج بحجة أنها لم تتعود مخاطبة الرجال، ولكن الرد كان فيه ثقة بالنفس مع الاحترام والأدب الجم.

5- مشية الفرد تدل على طبيعة شخصيته، فهناك مشية فيها كبر وفخر وأخرى بها تواضع وإيمان، هناك مشية تدل على الميوعة والتبذل وأخرى تنم عن الحياء والأدب والتقوى، وقد حرص القرآن دائماً على وصف مشية المؤمن ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63]، وها هو يخص المرأة في مشيتها وتكون صفورها هي المثل الأعلى لبنات العصر، فليتقين الله في مشيتهن، ولتنبه كل منهن أن مشيتهن تفضح ما في داخل نفسها.

6- كانت صفورا ذات عقل وحكمة، ولها نظرة ثاقبة، فقد فهمت من أدب موسى - ﷺ - أنه شخص محترم، فسمحت له بمساعدتهن، ثم وصفته بعد ذلك لأبيها بأنه قوي أمين، فيا لها من ذكية أربية شديدة الملاحظة.

7- البنت الصالحة تكون صريحة مع أبويها، قريبة منهما، فقد أبدت صفورا لأبيها إعجابها بموسى دون تخوف بكل جرأة وشجاعة وأدب وصراحة.

8- وقد تفهم الأب الموقف سريعاً، وقام بواجبه تجاه ابنته؛ رغم أنها لم تلوح بالزواج؛ فما أجمله من تقارب وتفاهم بين الأب وبناته، وما أحوج بنات اليوم إلى آبائهن.

9- كانت صفورا تعيش مشكلات البيت، وتبحث عن حلول مناسبة واستئجار موسى كان وجهة نظر صائبة احترامها الأب وسارع في تنفيذها فهي شخصية مسئولة.

10- لا مانع من أن يعرض الأب لخطبة ابنته في عزة لا انكسار فيها ولا استعطاف.

11- يفكر الاب في إمكانيات الخطيب طفلية والخلقية، وقد يتغاضى قليلاً عن الإمكانيات المادية، طالما لمس فيه التقوى والصلاح والقدرة على الكسب والإنفاق.

12 - تصرف الأب كان حكيماً، حيث استأجر موسى ثمان سنوات، فهو لا يعطى ابنته مجاناً، كما أن هناك مرونة في الاتفاق (فإن أتممت عشرًا فمن عندك) وهناك كرم ونبل أخلاق من موسى ﷺ فقد قضى السنوات العشر كاملة.

13 - وقد اطمأن الأب الكريم إلى نبل وصدق زوج ابنته خلال السنوات العشر، فلتذهب إذن معه في أي مكان يتوجه إليه.

14 - شاركت صفورا زوجها في رحلة عمره الشاقة الطويلة، والتي بدأت برحيله إلى مصر - وكانت حاملاً - ووقفت بجانبه، وعاشت معه لحظات البعثة والتكاليف والأحمال الثقيلة، كذا عاشت معه لحظات القرب والود؛ حيث كلم رب العالمين، وقد أشار إليها القرآن على أنها الأهل كلهم (ولما سار بأهله) فأمنت به وصدقته، وأكملت معه مشوار الكفاح مع فرعون، ثم خرجت معه من مصر. ونتوقع أن تكون قد انضمت إلى الأسرة الكريمة وأصبحت فردًا من أفرادها، وجزءًا منها لا يتجزأ.

وهكذا كافحت وناضلت وكانت غربتها في سبيل الله.

**آسية بنت
مزام
امراة عرفت
الحب..**

آسية بنت مزاحم

«امرأة عرفت الحب»

هي امرأة فرعون التي تحدث عنها القرآن، كان أبوها ملكاً لمصر في عهد يوسف عليه السلام، وهي امرأة رمسيس الثاني الذي تولى حكم مصر سنة 1290 قبل الميلاد، وكانت صالحةً تدين بدين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وكانت تسمى في عصرها (إيست نفرت)، لكن الرسول ﷺ سماها آسية، وذكرها من خير نساء العالمين.

كانت آسية مؤمنة مخلصه، تعبد الله سرّاً، حتى أنها كانت تتعلل لقضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئزرها خوفاً من فرعون.

نشأت آسيا وعاشت في بيئة القصور والترف، حيث المتاع والزينة وصحبة عليّة القوم، وكل ما حولها يدعو إلى الشهوة والمتعة، ولكن الله تعالى جعلها كالشجرة في وسط الهشيم، وكالسراج في دياجير الظلام.

اختارها الله لينصر بها دينه:

الذين يهتدون يزيدهم الله هدىً، والثابتون على الحق يستعملهم ربهم لنصرة دينه حتى يكونوا من أهلِهِ وخاصته؛ وقد اختار الله آسية وجعلها اليد الحانية والأم الرؤوف التي تحفظ نبيّه موسى عليه السلام من بطش الظالمين.

ولما أَلَقَتْ أم موسى ابنها في النهر انتهى به الماء حتى فوّه النهر، حيث تستقي جوارى امرأة فرعون؛ فلما رأين الصندوق أخذنه وهممن أن يفتحنه، وظننّ إن به ما لا، فقالت بعضهنّ... إنا إن فتحناه لن تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيتته حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه غلاماً، فألقى الله محبته في قلبها، فأحبته كما لم تحبّ أحداً من قبل قط، فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليزبحوه فقالت لهم: أقروه؛ فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه مني كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألكم... فأت فرعون فقالت... (قُرْة عِينِ لِي وَلَكَ)، فقال فرعون... يكون ذلك لك،

بتعذيبها وقتلها، فقالت له: ويل لك، ما أجراك على الله! فقال في غضب: لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبك، قالت في حزم: ما اعتراني جنون، ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين.

ثم هددها فرعون الطاغية، وخيّرهما بين إيمانها والعذاب، وخافت عليها أمها وألحّت عليها بالموافقة على عرض فرعون فأبت، فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد، وأمر فرعون بربطها بالحبال ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿[الفجر: 10، 11]، واستقبل بها الشمس، وأضجعها على ظهرها، ووضع رحيّ على صدرها، وعذبها فرعون عذاباً شديداً ورهيماً حتى مات.

وكانت تدعو ربها وهي في العذاب.... ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١) [التحریم: 11].

قال العلماء: (اختارت الجار قبل الدار)، وقال الكشاف: (طلبت القرب من رحمة الله والبعد عن عذاب أعدائه، وبينت مكان القرب بقولها: في الجنة، أو أرادت ارتفاعاً في الجنة، وتكون جنتها من الجنات التي هي أقرب إلى العرش، وهي جنات المأوى) (١).

* وكلمة (عند) هي ظرف مكان، أو عادة يأتي في آخر الجملة، ولكنه هنا تقدم لأهميته، فقد اختارت القرب من الله قبل اختيار الجنة.

* قيل: إنها لما دعت بهذا الدعاء أراها الله بيّتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب؛ فضحكت فقالوا: هي مجنونة، تضحك وهي في العذاب، فقبض الله روحها في الجنة ﷺ، إنها امرأة عرفت أين الحب، فاختارت جوار الحبيب.

ملاحم الشخصية:

- الرقة والحس المرهف الذي دعاها إلى سرعة الاستجابة لنداء الإيمان في وسط بيئة الكفر والجبروت.
- قوة الإرادة والعزيمة والقدرة على التحمل.
- الجرأة في الحق والشجاعة وعدم الخوف إلا من الله تعالى.

- الذكاء والدهاء والحكمة والذي بدا واضحا عند نجاحها أكثر من مرة في اقناع فرعون بالعدول عن قتل موسى عليه السلام.

خواتر وعبر:

1- احتفظت آسية بإيمانها ولم تتأثر بفساد زوجها؛ فأنحرف الزوج وطغيانه لا يبرر للزوجة معصية ربها وحيادها عن طريق الحق والعدل فكل امرئ بما كسب رهين.

2- رفضت آسية الظلم بشتى الوسائل:

- بالقلب.... عندما كانت تكتم إيمانها وتنكر المنكر بقلبها.

– باللسان.... عندما نهت عن قتل الطفل الرضيع موسى عليه السلام وقالت: (لا تقتلوه).

- باليد وبالجوارح.... عندما واجهت ظلم فرعون وتحملت أقصى درجات العذاب.

3 - عظم شأن آتقي حتى إن الله تعالى جعلها مثلاً يُحتذى به في الإيمان للرجال والنساء على السواء، فقد قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: 11].

4 - قوة الإيمان أعلى من قوة القهر والاستعلاء.

5- في كثير من الأحيان تتبع المرأة زوجها في كل ما يعتقده ويراه وتؤازره حتى ولو جانب الصواب، ولكن آسياه حكمت عقلها وعرفت الحق بقلبها، والإيمان بالله يرفع من شأن المرأة، ولا يجعلها مجرد تابع للرجل.

6- آصرة العقيدة أقوى من كل صلات القربى والنسب.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

وقد كتب الله الإيمان في قلب آسية..

8- يمكن للمرأة أن تتودد إلى الزوج لتستميل قلبه إلى الأعمال الصالحة، وتتخذ

الحيلة، وتستعمل الحكمة في إقناعه بالأعمال الطيبة كما فعلت آسية عندما منعته من ذبح موسى.

9- انتقاء ألفاظ الدعاء، والاجتهاد في اختيار المطالب كما طلبت آسية بيتاً في الجنة، يكون سقفه عرش الرحمن، وهذا قد يهون على المرأة ما تلقاه من عناء في الثبات على الحق.

وقد كان دعاؤها من تمام التوفيق وقوه البصيرة، وقد قال عمر بن الخطاب: (إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا رزقت الدعاء فإن الإجابة معه).

* * *

أشباع
(امرأة زكريا)
(أم الشهيد)

أشيع (امراة زكريا)

(أم الشهيد)

العائلة الربانية:

انها أشيع بنت فاقود أخت حنه بنت فاقود (أم مريم) ، انها زوجه نبي وأم نبي ، فزوجها زكريا عليه السلام وابنها هو يحيى عليه السلام.

كان سيدنا زكريا نجاراً وهو الذي كفل مريم حيث مات أبوها وهي في بطن أمها ، وأما أشيع خالتها قد كفلتها كفالة معنوية واحتوتها فكانت لها بمثابة الأم الحنون القريبة من ابنتها فقد علمت بحمل مريم وتفهمت أمرها وصدقته وشاركتها في محنتها ومعاناتها ، وهكذا تكون العائلة الربانية الصالحة يكفل بعضها بعضاً ويرعى بعضها بعضاً في حب وعطف.

كانت أشيع قد حرمت من الإنجاب لعقمها وعاشت حياتها عاقراً فرضيت بما قسم الله تعالى لها وكان زكريا عليه السلام تواقاً إلى الذرية خاصة بعد أن شاب رأسه ووهن عظمه ، كان يخشى على دعوته التي يقوم عليها وأهله الذين يرعاهم - ومنهم مريم - وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه - وكل ذلك هو تراثه الذي يملكه كان يخشى عليه من الضياع لذا تضرع إلى الله تعالى هو وزوجته بأن يرزقهما الله تعالى الولد الذي يقوم بهذه المهام فاستجاب الله تعالى لهما وبشرهما بالغلام - ولو لم يكن نهج أشيع أم يحيى موافقاً لنهج زكريا عليه السلام لكانت رغبتها ورغبة زوجها بعيدة المنال.

حمل له علامة:

عندما تحمل المرأة في عصرنا فانها تذهب إلى الطبيب لتجرى اختبار حمل ولكن أشيع عليها السلام كان حملها آية وعلامته آية أخرى.

حملت أشيع وأخبرها الله تعالى بالحمل ورأت الآيات الكبرى من الكريم الوهاب وكانت فرحتها عارمة وسعادتها بغير حدود؛ لأنها ستضع لزوجها الشيخ أول

مولود وكان عمرها 98 سنة ، وقد شاهدت بعينها علامه الحمل التي نبأ الله بها نبيه عندما قال: (رب اجعل لي آيه) فكانت العلامة هي ألا يستطيع زكريا تكليم الناس بكلامهم المتداول بينهم عند محاورتهم.

وقد روي عن أبي زيد أنه لما حملت زوجته عليها السلام أصبح لا يستطيع أن يكلم أحداً وهو مع ذلك يقرأ التوراه فاذا أراد مناجاة أحد لم يطقها ودام ذلك ثلاثة ليال بأيامهن. وهذه الآية يؤدي بها زكريا حق الشكر لله الذي وهبه على الكبر غلاماً.

وعندما خرج على قومه أشار إليهم ليسبحوا ربهم ليشكروا الله معه على ما أنعم عليه وعليهم من بعده ، فكانت أشياع تكثر أيضًا من الذكر ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: 11] .

* وهذه رسالة الى كل زوجة تريد الإنجاب أن تكثر من الذكر وإلى كل زوجة أنجبت أن تكثر من الذكر شكرًا لله فلا يليهها الأبناء عن ذكر الله ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا لَّهُمْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ....﴾ [المنافقون: 9] .

علاقۃ یحییٰ بن زکریا بعیسیٰ ابن مریم:

لقد حملت (أشيع) في نفس الوقت الذي حملت فيه مريم فكان عيسى ويحيى ابنا حالة كانت أشيع تقول لمريم: (إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه له في بطن أمه فهو أول من صدّق عيسى وهو أكبر من عيسى أيضًا.....).

﴿الْمَلٰئِكَةُ وَهٖٓ اُولٰٓئِٓكَ يُصَلُّوْنَ فِي الْمِحْرَابِ اَنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِخَيْرٍ مُّصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ وَسَيِّدًا
وَحَصُوْرًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ [آل عمران: 39].

وأما سيدًا فتعني أنه في العلم والعبادة وحضورًا تعني أنه مانعًا نفسه من الشهوات.

البشرى من المأ الأعلى:

لقد بشره الله تعالى وبشرته الملائكة وهو واقف يصلي في المحراب وتضمنت
البشرى ثلاثه أشياء:

- 1- إجابة دعائه وهي كرامة له.
- 2- إعطاؤه الولد وهو القوة.

3- تفرد بتسميته. ﴿إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:7].
فهو اسم غير مسبوق سماه الله جل جلاله فذلك كرامة لأبويه وشهره لأمر يحيى عليه السلام.

4- ذكر الله تعالى صفات هذا الابن عندما يكبر وهذه الصفات هي التي تؤهله؛ لأن يقوم بالمهام التي من أجلها دعا زكريا ربه وهي صفات الداعية التقى الصالح وهي:

* أنه يأخذ الكتاب بقوة.

والكتاب هو التوراه كتاب نبي اسرائيل من بعد موسى وعليه كان يقوم أنبياءهم يعلمون به ويحكمون.

وقد ورث يحيى أباه زكريا ونودى ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم.

* آتاه الحكم صبياً.

وقد أخرج أبو نعيم ، عن بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال في ذلك: أعطى الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين.

وقيل أن الحكم معناه النبوة ولم ينبأ أكثر الأنبياء قبل الأربعين.

* آتاه حناناً من عنده.

لا يتكلفه ولا يتعلمه وهي صفة ضرورية للنبي وكذلك الداعية المكلف برعايه القلوب والنفوس وانجذابها الى الخير.

* آتاه زكاه القلب وطهارته ليواجه بها أدران النفوس فيطهرها ويزكيها.

* آتاه التقوى والصلاح فقد كان موصولاً بالله تعالى يخشاه في السر والعلن ، وقد أثنى الله على يحيى وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال عنه (مأعمل معصيه ولاهم بها).

* كان شديد البر بوالديه كثير الإحسان اليهما.

* كان بعيداً عن الكبر والتعالى.

* له تحيه من الله وتشريف. «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» .

قال الطبري: أمان من الله تعالى عليه يوم ولد (من أن يناله الشيطان) ويوم يموت (من وحشه فراق الدنيا) ويوم يبعث حيًّا من هول القيامة وعذاب النار. ومما لا ريب فيه أنه عليه السلام من الشهداء جزاهم الله خير الجزاء.

أم الشهيد:

كانت حياة يحيى ابن زكريا وسامًا على صدر أمه واستشهاده تاجًا على رأسها فهي الأم التقية النقية المربية العظيمة التي رزقت بعد كل هذا العمر الطويل ابنًا به كل هذه الصفات العظيمة فلم تدلله كما تفعل الأمهات اللاتي يرزقن أبناءً على كبر ، وانما أحسنت تربيته وتأديبه فكان نبيًا شهيدًا عاش حياته مجاهدًا مصلحًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وفي الحديث الذي رواه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال: فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ.

قال: وكان لملكهم ابنه أخ تعجبه ، يريد أن يتزوجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها ، قالت لها: اذا دخلت على الملك ، فسألك حاجتك فقولي: حاجتي أن تذبح لي «يحيى بن زكريا» فلما دخلت عليه سألتها حاجتها ، قالت: حاجتي أن تذبح لي «يحيى بن زكريا» فقال: سليني غير هذا ، قالت: ما أسألك إلا هذا ، قال: فلما أبت عليه دعا «يحيى» ، ودعا بطست فذبحه.(أزواج الأنبياء - محمد راجي الكنسي)

وهكذا استشهد نبي الله يحيى عليه السلام ولا ندري إن كان ذلك في حياة أمه أم بعد موتها ولكن على كل حال هي أم الشهيد وزوجة الشهيد وأم النبي وزوجة النبي وخالة خير نساء العالمين.

فسلام عليها و رضي الله عنها وأرضاها فنعمت الأم ونعمت الزوجة ونعمت الخالة.

خواتر وعبر:

- 1- كفالة العائلة بعضها البعض كفالة مادية ومعنوية.
- 2- قيمة الذكر وارتباطه بالرزق وشكر النعم.
- 3- فضل أم الداعية المجاهد وأم الشهيد.

امراة عمران

(امراة تحمل

حملًا ربانيًا)

امراة عمران

(امراة تحمل حملاً ربانياً)

هي حنا بنت فاقود، كانت عاقراً لا تلد إلى أن عجزت، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له، فتحركت نفسها للولد وتمنته وقالت: اللهم إن لك علي نذراً -شكراً- إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمته (وذكر ابن كثير أنها نذرت ذلك بعد الحمل) فحملت بمريم، وهلك عمران زوجها وهي حامل بها وهذا النوع من النذر كان مشروعاً عندهم؛ روي أنهم كانوا يندرون هذا النذر، فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين ألا يفعل (كذا في الكشف)⁽¹⁾. ونذر الأم هنا أن تجعل ما يأتي منها محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس، فلا ينشغل بأي عمل آخر من شواغل الدنيا، فكان موهوباً لطاعة ربه والانقطاع إليه.

مناجاة وسؤال الحبيب

إن قصة النذر تكشف عن قلب امراة عمران وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها خالصاً لربها محرراً من كل قيد ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد سوى الله سبحانه.

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].

وهذا الدعاء الخاشع من امراة عمران ينم عن ذلك الإسلام الخالص لله والتجرد إلا من ابتغاء قبوله ورضاه.

مناجاة شكر واعتذار

لما استجاب الله دعاءها حملت ثم وضعت، ولم تنس شكر الله على نعمته بل زادت في عبادتها ومناجاتها لله تعالى في قرب ومودة وهي تقول: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: 36].

(1) انظر: تفسير الكشف للزمخشري 1/ 175.

تحدث إلى القريب المجيب وكأنها تعتذر إليه، ألم يكن لها ذكر ينهض بالمهمة. والكثير من الناس يرغب في الذكر لأسباب شتى؛ منها: أن يكون امتداداً له، ويحمل اسمه وذريته بعد موته، أو يكون سنداً له في الحياة عند الكبر - وقد كانت امرأة عمران عجوزاً مات زوجها وهي حامل؛ ولكنها لم تتمنّ الذكر لأي من هذه الأسباب.

ليس الذكر كالأنثى:

إنها حقيقة تذكرها امرأة عمران في مناجاتها، ويعترف بها الشرع، ويرتضيها العقل والمنطق والفطرة.

وقد قصدت أن الأنثى ليست كالذكر في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى.

وكان الأمر في دينهم أن الولد إذا صار بحيث يمكن استخدامه كان عليه خدمة الأبوين؛ فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع، ويجعلونه محرراً للخدمة المسجد، ولم يكن أحد من الأنبياء إلا ومن نسله محرراً لبيت المقدس، ولم يكن يحرر إلا الغلمان، ولا تصح الجارية لما يصيبها من الحيض والأذى فتحتاج إلى الخروج.

وأما بمنطق العصر فليست الأنثى كالذكر أيضًا في الصبر على العمل الشاق؛ لذا أوجب الشرع صيانتها وتكريمها بعدم إلزامها بالإنفاق، وما دخل علينا من مصطلحات غريبة مثل الجندر وغيره هي مفاهيم مضادة للفطرة، وما هدفها إلا القضاء على العنصر البشري.

الإيمان حرز من الشيطان:

دعت امرأة عمران في مناجاتها ﴿وإني أعيدُها بك وذريتها من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

فليست القضية ذكر وأنثى؛ إنما الأهم من ذلك هو الصلاح، وقد فطنت هذا جيداً، فدعت بأن يحفظها -ليست وحدها - وإنما معها ذريتها من الشيطان، فالرغبة الأصلية في الحمل إنما كانت لإنشاء ذرية صالحة، تزرع الخير وتخدم الدين.

وقد حفظ الله مريم وابنها - يقول الرسول ﷺ: (ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان

حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها⁽¹⁾.

التسمية:

ومن فرط شعورها بقرب ربها تتحدث معه حديث سمر قائلة ﴿.. وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ...﴾ [آل عمران: 36] وقد تخيرت لابنتها اسماً طيباً كما هي سنة نبينا ﷺ وشرع من قبلنا في تسمية المولود يوم ولادته.

وذكر السهلي أن القرآن لم يذكر امرأة باسمها إلا مريم ابنة عمران؛ فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعاً لحكمة ذكرها بعض الأسياف أن الملوك والأشرف لا يذكرون حرائرهم في ملاء، ولا يتذلون أسماءهن؛ بل يكونون بـ: الزوجة وبالعرس وبالأهل والعيال، ولم يصونوا أسماء الإماء عن الذكر فصرح الله باسم مريم لما قالت النصاري في مريم تأكيداً لعبوديتها وإجراء الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها، وتكرر ذكر اسم عيسى منسوباً إلى أمه لتشعر القلوب بنفي أبوة الله وبنزاهة أمه الطاهرة عن مقالة اليهود.

اصطفاء الهي:

حينما نذرت أم مريم ما في بطنها لربها طلبت منه في خشوع وتضرع أن يتقبل هذه الوليدة حين قالت: (فَتَقَبَّلَ مِنِّي)، أي: ما نذرته لك والتقبل هو أخذ الشيء. على وجه الرضا، فاستجاب الله دعاءها، وتقبل منها نذرهما، واصطفاهما من بين نساء زمانها، وجعلها إمامة في الخير والصلاح.

والاصطفاء علاماته ظاهرة؛ حيث تقبل الله مريم من أمها بقبول حسن، وهياً لها النشأة الطيبة، وأجرى لها من الكرامات ما يبهر ألباب المؤمنين، وكان في زمان مريم هذا أربعة آلاف محرر مثلها، لم يشتهر خبر أحد منهم اشتهاً خبرها، وكان هذا الاختيار المبكر وهي في عالم الغيب جنيماً في بطن أمها.

قال ابن عباس في الآية: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: 37]، أي: سلك بها طريق السعداء، والقبول هنا من الله وصف بالحسن؛ حيث قبل تلك الأنثى على غير المعتاد لصدق نية الأم، وحيائها من ربها، فأنبثها نباتاً حسناً،

(1) رواه البخاري في صحيحه 4/ 1655، رقم (4274)، كتاب تفسير القرآن، سورة آل عمران، من حديث أبي هريرة ؓ.

ملامح الشخصية:

فلتضام هدا نبلا عالیا لابنها وهو في بطنها.

4- حسن اختيار اسم المولود.

خوابطر وعبر:

* تربية الأبناء تبدأ من الحمل والدعاء لهم يستمر إلى الأبد ويعطى أثره ولو بعد حين.

* الأنثى ليست كالذكر فلها طبيعة خاصة من رقة المشاعر والحس الرهف فلنحافظ عليه كما خلقه الله تعالى.

**مريم ابنة
عمران
(العفيفة الطاهرة)**

مريم ابنة عمران (العضيفة الطاهرة)

خير النساء

يقول النبي ﷺ (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد - فاطمة بنت محمد - مريم عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) (1).
ومعنى الكمال: التناهي في البر والتقوى والكمال في حق النساء لا يكون بالنبوة وإنما يكون بالصدقية وهي صدق في الأفعال والأقوال.

النشأة الطيبة

هيا الله لمريم النشأة الطيبة، فقد ترعرعت في بيت المقدس حيث الزهاد والعباد والمربي الذي تولّى رعايتها وكفالتها هو زوج أختها ونبي زمانها زكريا عليه السلام. والكفالة تعني تدبير الأمور والإنفاق والاهتمام بالمصالح الضرورية للحياة، وقد تسابق العباد في كفالتها فذهبوا إلى نهر الأردن، واقتنعوا هناك على أن يلقوا أقلامهم، فأبهم يثبت في جريه الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماس إلا قلم زكريا فإنه ثبت وكان زكريا هو نبيهم وكبيرهم وسيدهم.
ولما كبرت مريم جعل زكريا لها محرّاباً لا يرتقي إليه بسلام، وكان يغلق عليها باباً، ولا يدخل عليها أحد عليها أحد غيره.

الخلوة والعبادة:

المحرّاب: هو أشرف المجالس ومقدمتها، وكانت هناك خلوتها برها ومناجاتها وعبادتها ودعائها، وهذه الخلوة سنة من سنن الأنبياء، وهي موضع كنوز العلم؛ لأن القلب إذا تطهر من الشواغل أصبح محلاً لنور الحكمة.

ظهور الكرامات

عندما رزق الله مريم الهمة العالية في الطاقة والعبادة جعلها تدخل في مصاف الأولياء، وظهر لها من الكرامات ما لم يظهر لغيرها من العباد والزهاد، ﴿فَنَقَّبَلَهَا

(1) رواه النسائي في الكبرى 5/93، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لحم تستر به، وتعتمد عليه في ولادتها إذ لم تكن لها قابلة تعينها عندئذ قالت: (ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا).

والله عز وجل خفف عنها، وجعل عيسى يكلمها ويرشدها إلى أن تهز جذع النخلة حتى تساقط عليها رطبًا جنيًا، وهذه كرامة أخرى لمريم وتسرية لها، ولما رآها قومها ومعها هذا الطفل أنكروا عليها شأنها وقالوا: (يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا)، أي: عظيمًا شنيعًا وكثير منهم خاضوا في حقها وقذفوها بكلام قبيح فرد الله كيدهم في نحرهم.

حينما ذهبت شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس، وكان ذلك في قرية يقال لها بيت لحم، فافتقدها زكريا ولم يجدها في محرابها فاغتم غمًا شديدًا، وقال لابن خالها يوسف: اخرج في طلبها، فخرج يقص أثرها حتى لقيها تحت النخلة، فلما رجعت إلى قومها وهم أهل بيت صالحون، وزكريا جالس معهم بكوا وحزنوا وأصابهم هم شديد.

الحل هو الصمت:

مواجهة مثل هذا الموقف الرهيب أمر في غاية المشقة، فمهما تحدثت، ومهما قالت فلن يصدقها أحد؛ لذا أمرها الله تعالى بالصمت وهو أبلغ رد ﴿فَكَلِمَةٍ وَأَشْرَىٰ وَقَرَىٰ عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكُلَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26].

وحين صمتت مريم أنطق الله عيسى بالحجة والبيان، وكفهاها الله أمرها، وسخر لها من يقوم بحاجتها، وذلك حينما سلمت لأمر الله، واستسلمت لقضائه، فأظهر الله المعجزة، ونطق الوليد بالعبودية لربه، وبرأ أمه مما نسب إليها من الفاحشة.

مريم تهاجر إلى مصر

لما علم هردوس ملك الإسرائيليين بالشام بولادة عيسى أراد قتله، فعلم يوسف ابن عمها بنية الملك، فهرب بالطفل عيسى وأمّه إلى مصر طلبًا للأمان وحملها على حمار له، حتى وصل إلى مكان بأرض مصر وهي الربوة التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50].

أقامت مريم وابنها في مصر حتى بلغ عيسى 12 عامًا، وكانت مريم وهي بمصر

تغزل الكتان وتلتقط سنبل القمح في الحصاد، وكان المهد في منكبها والوعاء الذي فيه النبل في منكبها الآخر.

ولما مات الملك هردوس عادت مريم وابنها عيسى إلى الشام، وسكنوا في جبل الخليل في قرية يقال لها: ناصرة، وبها سميت النصارى. وأخذ عيسى عليه السلام يدعو إلى عبادة الله تعالى، ولاقى أشد ألوان المضايقات من الإسرائيليين حتى أرادوا قتله فرفعه الله إليه.

خواطر وعبر:

* العفة والطهارة هما كنز الفتاة، ورأس مالها، فلنعود بناتنا عليهما.
* لكل من لم ترزق بالزوج الذي تستريح في كنفه، أو تأخر زواجها؛ أن تقتدى بمريم الطاهرة عليها السلام، في التقرب إلى الله بالعبادة، والاستغراق في فعل الخيرات؛ حتى تتقوى الوقوع في الآثام؛ فلم تبلى واحدة بما ابتليت به مريم عليها السلام.
قد يكون الصمت حلاً لبعض المشكلات في كثير من الأحيان، ويغفل الناس ذلك.

* عمل المرأة ليس من المنكرات؛ فقد اضطرت إليه أظهر النساء، ولم تستكبر عنه؛ بل كانت تعمل لتنفق على ولدها، وهى العابدة التي لم تكن تألف مشاق العمل؛ إذ كان يأتيها رزقها في المحراب، وكان زكريا عليه السلام يكفلها.

خديجة بنت

خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(الزوجة الأم)

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

(الزوجة الأم)

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، يلتقي نسبها مع نسب رسول الله ﷺ عند جددهما الرابع (قصي).

كانت تلقب في الجاهلية بالطاهرة؛ لشدة عفائها، وكانوا يصفونها بسيدة نساء قريش، ثم أصبحت بعد ذلك سيدة نساء أهل الجنة بعد زواجها من الرسول ﷺ، فهي أول من آمن، وأول من صدّق، وأول من صلى مع النبي، وهي المرأة التي سلم الله تعالى عليها.

* أخرج النسائي من حديث أنس قال: قال جبريل للنبي ﷺ (إن الله يقرئ خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) (1).

النشأة الطيبة:

كان خويلد أبو خديجة رجلاً ذكي الفؤاد ملتزماً بالأخلاق والصدق والوفاء. وكان ابن عمها ورقة بن نوفل أحد أربعة من حكماء العرب، لم يعبد الأوثان، ولكنه اعتنق النصرانية، وتعلم من كتبها مكارم الأخلاق، فلم يكن يشرب الخمر، ولا يلعب الميسر، وكان يرحم الموءودة ويربّيها عنده حتى إذا كبرت ورغب أبوها في استعادتها ردها إليه.

ومن هذا نعلم أن خديجة رضي الله عنها من أعرق العرب نسباً؛ فقد نبتت في بيت شريف واسع الثراء معروف بالتدين والبعد عن الانغماس في الشهوات، وقد ورثت عن أبيها حسن السيرة وجمال الخلقة والخلق.

زواجها:

لما بلغت سن الزواج تزوجها (النباش بن زرارة التميمي)، فولدت ولدين: «هند ثم هالة».

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى 5/ 94، رقم (8359)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثم توفي زوجها تاركاً لها ولولديها منه ثروته الطائلة، ثم تزوجت خديجة بعد ذلك (عتيق بن عائذ المخزومي) فولدت له بنتاً يقال لها: «هند».

ثبت هذه البنت ثم تزوجت ابن عم لها وولدت له محمداً، عاش هذا الولد وكانت له ذرية أقامت في المدينة المنورة بعد الهجرة، وكان يطلق على هذه الذرية (بنو الطاهرة)، ولم يستمر زواج خديجة مع عتيق.

أولاد خديجة قبل محمد ﷺ :

* هند بن أبي هالة من زوجها الأول.

* هالة بن أبي هالة من زوجها الأول.

* هند بنت عتيق من زوجها الثاني.

وقد عاشوا جميعاً في كنف رسول الله ﷺ، وأسلموا، وكان لهالة وهند صحبة ورواية من رسول الله ﷺ.

زواجها من محمد ﷺ :

كانت ﷺ ذات مال وفير وخير كثير، فعملت بالتجارة بواسطة الأمراء من شباب مكة؛ ولما اتسعت تجارتها احتاجت إلى عمال أكثر، فدلها الناس على محمد ﷺ، ولاقت تجارتها على يديه رواجاً غبر مسبوق، وربحت ضعف ما كانت تربح.

وكان ميسرة (غلام خديجة الذي يخرج بالتجارة مع محمد ﷺ) يصف لخديجة إعجابه بمحمد ﷺ وما يراه من خوارق أثناء رحلته معه، وأعجبت خديجة بأمانة النبي ﷺ وأخلاقه، وربطت بين المعجزات التي رأتها وسمعتها عنه ﷺ وبين الرؤيا التي رأتها في منامها منذ زمن؛ فقد رأت شيئاً عظيماً يهبط في دارها من سماء مكة فيغمر ضوءها ما يحيط به من بقاع، وقد قصت تلك الرؤيا على ابن عمها ورقة بن نوفل فبشرها بأن هذه الشمس المضيئة علامة على قرب ظهور النبي المنتظر، وأنها ستزوج منه.

ولقد شعرت خديجة أن محمداً هو النبي المنتظر، وفكرت بجدي في الزواج منه، فأرسلت إلى صديقة لها اسمها (نفيسة بنت منية) لتكون وسيطاً لها في هذا الأمر، فعرضت على النبي ﷺ الأمر بلطف واستجاب لها محمد ﷺ وخطبها وتزوجها.

* كان محمد ﷺ فقيراً، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، بينما خديجة في الأربعين، ولكنه كان زواجاً ناجحاً متكافئاً.

* ولم تنظر ﷺ إلى هذا الزواج إلا نظرة دينية لتفوز بهذا النور النبوي الجليل وتحقق به سعادة الدنيا والآخرة.

* وقبل محمد ﷺ الزواج من أرملة في الأربعين وذات أطفال من غيره وهو في قمة ريعان شبابه.

فكان في هذه الزيجة روح من رعاية الله وعطفه وحنانه.
وقد جاء في السيرة الجليّة: أن رسول الله ﷺ قال: (ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحى جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام من ربي) (1).

أبناء خديجة من محمد ﷺ:

حملت خديجة ﷺ بالقاسم في السنة الثالثة من زواجها بمحمد ﷺ، فسعدت كثيراً بذلك المولود، ولكنه مات قبل أن يتم رضاعه، فما لبث أن حملت بزینب ﷺ، ثم رزقها الله تعالى رقية فأم كلثوم ﷺ، ثم رزقها الله تعالى عبد الله الذي لقب بطليب وبالطاهر، ولكنه لم يعيش طويلاً بل مات قبل الفطام فحزنت خديجة حزناً شديداً؛ لأن أملها في الإنجاب أضحى ضعيفاً، وقد كانت ترجو أن يكون لها من محمد ذكر يحمل اسمه وتقر به عينه، ولكن مشيئة الله وحكمته اقتضت غير ذلك.

وقد شمت المشركون في النبي ﷺ وقالوا عنه: إنه أبتَر (أي: لا ولد له من الذكور يحمل اسمه) فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ۖ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

[الكوثر: 1، 3].

وكانت فاطمة ﷺ آخر الإنجاب من خديجة؛ حيث وضعتها بعد عشر سنوات من الزواج، وفرحاً بها كثيراً؛ حيث كانت أشبه الناس بأبيها ﷺ خلقاً وخلقاً.

* ومن هنا توجه رسالة لكل أم وكل أب لم يرزقا ذكراً أن يرضيا بقضاء الله، ويثقا في حكمته؛ ففعل ذلك خير لهما، وأن يطلبوا من الرزاق الوهاب فهو الذي ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49].

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 7 / 251، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

خديجة رضي الله عنها لا صخب ولا نصب؛

لقد بشرها جبريل عليه السلام بيت في الجنة من قصب (أي: لؤلؤ) لا صخب فيه ولا نصب.

ولقد كان هذا جزاءً وفاقاً لما بذلته خديجة رضي الله عنها في بيتها الدنيوي
 * لقد حرصت أن تبذل مالها في سبيل دينها، وكان بيتها محصناً طاهراً وعشاً آمناً
 لدين الله عز وجل، فعوضها الله عن ذلك بقصر من لؤلؤ عظيم.
 * لقد كانت زوجة هادئة عاقلة، لا تحمل لزوجها صخباً، فلم تكدر صفوه
 بالصياح والضجيج؛ بل جعلت بيتها هادئاً مطمئناً سعيداً.
 * كانت تحرص على راحة الرسول ﷺ وإبعاده عن التعب والقلق والنصب لأمر
 المعاش والأولاد، وفرغته للدعوة لدين الله تعالى، فعوضها الله تعالى ذلك البيت
 الذي لا نصب فيه في الجنة.

لقد غمرت النبي ﷺ بالحب والحنان، ومن دلائل حبها له وإيثارها لما يحبه أنها
 حينما رأت حبه لمولاهما زيد بن حارث وهبته له عن طيب خاطر.
 ولما أنست منه رغبة في أن يكفل أحداً لأبناء عمه أبي طالب رحبت، وأفسحت
 للإمام علي ابن أبي طالب مكاناً كبيراً في قلبها وبيتها، وكأنه أحد أبنائها.

جهادها في نشر دين الله:

لقد كانت خديجة قبل البعثة خلف زوجها الطاهر الأمين، تعينه على حياته النقية
 البعيدة عن الأوثان والخمر والميسر، فكانت معه في كل موقف من مواقف الدعوة،
 تتخطى معه الصعاب، ومن أهم هذه المواقف:

1- خلوة النبي ﷺ في الغار

وكان ذلك أول ارهاصات النبوة، وكانت خديجة تهيب له الزاد كل عام ليقضي
 شهر رمضان في غار حراء، ولو كان الأمر لعاطفتها المجردة لما رضيت -كالمرأة- أن
 يغيب عنها زوجها ليله واحدة.

2- اضطراب النبي ﷺ عند بداية نزول الوحي.

بعد لقاء جبريل الأول بالنبي ﷺ عاد إلى بيته مرتجفاً يقول: زملوني زملوني.....
 دثروني دثروني..... فاستوضحت خديجة منه الأمر فقال لها: يا خديجة لقد خشيت

على نفسي، فأخذت تثبته وتقول: والله لن يخزيك الله أبداً.
ثم خرجت به إلى بن عمها ورقة فقال له ورقة: (أبشر يا محمد فهذا الناموس الذي
نزل على موسى وإنك لنبي هذه الأمة).

ومن شواهد فطنتها وسلامتها فطرتها هذا الموقف:

روى ابن الأثير في (أسد الغابة) قول خديجة لرسول الله ﷺ: يا ابن عم، هل تستطيع
أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاءك؟ تقصد جبريل عليه السلام. قال: نعم. فبينما
رسول الله ﷺ عندها إذ جاءه جبريل، فقال رسول الله: هذا جبريل قد جاءني، فقالت:
أتراه الآن؟ قال: نعم، قالت: اجلس على شقي الأيسر فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟
قال: نعم، قالت: فاجلس على شقي الأيمن فجلس، قالت: أتراه الآن؟ قال: نعم،
قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ﷺ فجلس، فقالت: هل تراه؟
قال: نعم، فتحسرت (أي: قعدت مكشوفة الرأس)، وألقت خمارها، فقالت: هل
تراه؟ قال: لا، قالت: ما هذا شيطان، إن هذا لملك يابن عم اثبت وأبشر.
وهذا الموقف يبين مدى احتضانها ﷺ لزوجها ووقوفها معه في محنته الأولى في
الدعوة إلى دين الله.

3- هم الدعوة:

كان النبي ﷺ يحمل عبئاً ثقيلاً وهو كيف يدعو الناس إلى هذا الدين الجديد ومن
الذي سيصدق.

وبينما رسول الله ﷺ بين ذراعي خديجة إذا به ينظر إلى فراشه ويقول لها: انتهى يا
خديجة عهد النوم والراحة، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلى الله
وإلى عبادته فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب؟

فقالت في حماس: أنا أستجيب يا محمد، فادعني قبل أن تدعو أي إنسان وإني
لمسلمة لك ومصدقة برسالتك ومؤمنة بربك، فشر بسكينة وراحة.

قال ابن اسحاق: (كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به،
فخفف الله بذلك عن نبيه، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من الرد عليه والتكذيب له
فيحزنه ذلك ألا قرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر
الناس).

وتحملت الصابرة المجاهدة خديجة رضي الله عنها ذلك الأذى في بناتها كذلك، ثم جاء عثمان بن عفان فخطب رقيه وتزوجها وتزوجها، ثم هاجر فيمن هاجر إلى الحبشة، وكان ذلك بالتأكيد شديد أيضاً على قلب الأم الحنون خديجة رضي الله عنها، ولكنه لون من ألوان الجهاد في الدعوة.

وفاة ووفاء:

ولقد كان وداع رقيه لأمها وداعاً لا لقاء بعده فقد توفقت خديجة قبل عودة ابنتها من الحبشة، وبعد الحصار الذي كان بالغاً في القسوة والشدة على امرأة قاربت الستين من عمرها.

وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها تابعت المصائب على رسول الله ﷺ وسمي هذا العام بـ (عام الحزن).

توجد العديد من المواقف التي تدل على حب النبي ﷺ لخديجة ووفائه لها وذكره الدائم لفضلها: طوال حياته:

1- عن عائشة قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة) قالت: فأغضبته يوماً قفلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها⁽¹⁾.

2- جاءت (أم زفر) ماشطة خديجة إلى المدينة المنورة، فأحسن النبي ﷺ استقبالها، وبالح في إكرامها، وقال (هذه كانت تغشانا في عهد خديجة) وإن حسن العهد من الإيمان.

3- لما أراد النبي ﷺ فتح مكة أعطى الراية الزبير، وأمره إن يغرزها بأعلى مكة في الحجون (حيث دفنت خديجة) وقال له: لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك، وهناك ضربت للرسول ﷺ الأعظم قبته، حيث اتخذ له مكاناً للقيادة يدير به معركة الفتح الأعظم، ومن هناك دخل أم القرى بتأييد الله ونصره.

4- بعدما انتصر المسلمون في غزوة بدر أخذ النبي ﷺ يتلقى فداء الأسرى من قريش، فلا يكاد يلمح قلادة لخديجة بعثت بها ابنتها زينب في فداء زوجها الأسير (أبي العاص بن الربيع) حتى يرق قلب النبي ﷺ في شجن، ويسأل أتباعه في أن يردوا على زينب قلادتها ويفكوا أسيرها.

5- أقبلت هاله بنت خويلد أخت خديجة يوماً لزيارة المدينة، وسمع النبي ﷺ صوتها في فناء بيته، وكان يشبه صوت العزيزة الراحلة فهتف خافق القلب: اللهم هاله.... اللهم هاله.

(1) رواه مسلم في صحيحه (2435)، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، من حديث عائشة رضي الله عنها.

فما ملكت عائشة نفسها أن قالت: (ما تذكر من عجوز من عجائز قريش - حمراء الشدقين - هلك في الدهر، أبدلك الله خيرًا منها؟)

فتغير وجه النبي ﷺ وزجر عائشة غاضبًا:

(والله ما أبدلني الله خيرًا منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذا كذبتني الناس، وواستني بمالها إحرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء).

فأمسكت عائشة وهي تقول في نفسها: (والله لا أذكرها بعدها أبدًا) (1).

ملاح الشخصيت:

* الفراسة وحسن الاختيار حيث اختارت خير البشر ليكون لها زوجها؛ رغم قلة ماله، وصغر عمره

* سعة الصدر والقدرة على الإحتواء، والعاطفة الأمومية التي كان النبي ﷺ في أمس الحاجة إليها، والتي غالبًا ما يحتاجها كل رجل.

* والرجل يحتاج أن تكون زوجته تارة أم، وتارة صديقة، وتارة عشيقة، والزوجة الذكية هي التي تقوم بكل هذه الأدوار بحنكة واقتدار.

* العقل والحكمة وحسن التصرف؛ حيث تفهمت سريعًا موقف الوحى وما يمر به النبي ﷺ من أزمة نفسية؛ فوفقت بجانبه، وكانت سنده وعونه حتى مرت بسلام.

* الصبر والجلد في تحمل مشاق الطريق مع زوجها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

* الحياة الزوجية شركة في الألام والآمال.

* الوفاء بين الزوجين من سمات المؤمنين الصادقين.

خواطر وعبر:

* ونستخلص من هذا الزواج بعض العبر:

- 1- أن الفارق في السن بين الزوجين لا يؤثر في كونه زواجًا متكافئًا.
- 2- أن على الشاب الذي يبحث عن الزواج ألا يجعل كل همه في شكل العروس وجمالها بقدر ما يعنى بالعقل والحكمة والخلق القويم والأصل الكريم.
- 3- أن على الفتاة أيضًا ألا تبحث عن الشكل والهيئه وكثرة المال بقدر ما تبحث عن الدين والخلق.

(1) رواه أحمد في مسنده 6/ 117، من حديث عائشة رضي الله عنها.

4- أن المرأة يجوز لها شرعاً وعرفاً أن تخطب لنفسها من تراه كفواً لها، ولكن بأدب ووقار، وأن ترسل من يكون وسيطاً في ذلك، وأما إن كانت بكرًا فليفعل ذلك وليها.

وأعتقد أن في ذلك قمة الاحترام والتقدير للمرأة؛ حيث إن الإسلام أعطاهما حق الاختيار والانتقاء كما أعطاه للرجل تمامًا.

أما ما نحن فيه الآن من عادات وتقاليد شعبنا ففيه ما يبخس المرأة حقها.

* * *

أم سلمة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(الحكيمة الرحيمة)

أم سلمة رضي الله عنها

(الحكيمة الرحيمة)

هي هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية .

نشأتها:

نشأت هند في بيت عريق أصيل يجمع من طرفي الجود والشجاعة، فهي ابنة واحد من أجود الناس في قريش وقد سُمي (زاد الركب)؛ لأنه كان إذا خرج مع الناس في سفر لم يتخذوا زادًا معهم ولم يوقدوا نارًا مما عرفوا من كرمه وجوده .
ولا ريب أنها تأثرت بهذه البيئة الكريمة، فكانت ذات يد معطاء ونفس صافية .

زواجها من أبي سلمة:

تقدم لخطبتها أحد فتيان قريش المعدودين وهو عبد الله بن عبد الأسد بن عمر بن مخزوم (أبو سلمة) .

وكان أبو سلمة أخًا للنبي ﷺ من الرضاع، وتم الزواج وكانت أم سلمة تعيش حياة النعيم والرخاء، لكنها في غضون أيام تترك هذا النعيم كله لتنتقل إلى نعيم روحي آخر، فقد سارعت وزوجها إلى الإيمان بالله منذ المراحل الأولى من الدعوة

الهجرة إلى الحبشة:

كانت (أم سلمة) رضي الله عنها أول مهاجرة من النساء، هاجرت هي وزوجها إلى الحبشة الهجرتين، كانت الهجرة الأولى في سنة خمس من المبعث، ولما بلغ المهاجرين إسلام قريش عادوا وقبل وصولهم لمكة تبين عدم صحة ما بلغهم فعادوا من حيث أتوا .

قصة الهجرة إلى المدينة:

إنها قصة مؤلمة، فقد كان أبو سلمة أول المهاجرين إلى المدينة، فصحب معه

توفي أبو سلمة بعد أن ظل شهراً يتداوى من جرح عميق في عضده أصابه في غزوة أحد، وبقيت أم سلمة مثلاً للمرأة الصابرة المحتسبة، فقد حزنّت على زوجها الحزن كله، ولكنها لم تقل إلا ما يرضى ربه عز وجل.

روى مسلم في صحيحه عنها قالت: إن أبا سلمة رضي الله عنه حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: - ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وعوضني خيراً منها) - إلا أجره الله في مصيبته (1).

فلما مات أبو سلمة ذكرت الذي حدثني به رسول الله ﷺ فكنت أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وعوضني خيراً منها).
ثم قلت: أي أعاض خيراً من أبي سلمة؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد أجرني في مصيبي.

زواجها من رسول الله ﷺ:

لما وفّت أم سلمة عدتها خطبها أبو بكر رضي الله عنه فاعتذرت إليه بأدب ولطف، ثم خطبها عمر فلم تجبه بشيء، ثم خطبها رسول الله ﷺ فاستبشرت بذلك خيراً، ورأت أن الله عز وجل قد أراد بها خيراً كثيراً في الدنيا، وأراد لها الفوز في الآخرة.

تقول أم سلمة: لما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً، فسللت يدي منه وأذنت لرسول الله ﷺ ووضعت له وسادة من أدم حشوها ليف، فقعد إليها فخطبني إلى نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، إني امرأة في غير شديدة، وإني أخاف أن ترى مني شيئاً تكرهه يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن ذات عيال قال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل ما أصابك، وأما عيالك فإنهم عيالي، قالت: فقلت: قد سلمت أمري إلى رسول الله ﷺ فتزوجني.

عن أم سلمة أخرج محمد بن سعد في الطبقات الكبرى عنها قالت: (قلت لأبي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها بعده إلا جمع الله تعالى بينهما في الجنة وهي من أهل الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي ولا أتزوج بعدك، قال: أعطيني؟ قالت: ما استأمرتك - أي شاورتك - إلا وأنا أريد أن أعطيك).

قال: فإذا أنا مت فتزوجي، ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها، ولا يؤذيها. قالت: فلما مات قلت: - من هذا الذي هو خير من أبي سلمة؟

(1) رواه مسلم في صحيحه (918)، باب ما يقال عند المصيبة، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

في بيت الزوجية:

مواقف عظيمة:

1- في صلح الحديبية:

وهكذا نجا الصحابة الكرام من مخالفة الحبيب المصطفى ﷺ وذلك ببركة رأي أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) ورجاحة عقلها.

2- مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

جاء في الصحيحين أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: «والله كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا؟ فقلت لها: ما لك ولما ههنا، فيم تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: - عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع وإن ابتك لتراجع رسل الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟

فقام عمر وأخذ رداءه من مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بُنية.. إنك تراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟! فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه فقال: - تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسننها حب رسول الله ﷺ إياها - يريد عائشة، قال: - ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة، لقرايتي منها، فكلمتها فقالت أم سلمة: - عجباً لك يا ابن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتى تبغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟

قال عمر: - فأخذتني والله أخذاً كسرني به عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها «

صاحبة القلب الرحيم:

كانت رضي الله عنها رحيمة بكل من حولها، تحب أن تحمل لهم البشري دائماً لتدخل السعادة على قلوب الناس.

فهي التي حملت خبر توبة الله تعالى على (أبي لبابة)، وذلك عندما أرسله الحبيب ﷺ إلى بني قريظة، وكان أبو لبابة حليفاً لليهود بني قريظة في الجاهلية، فلما خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، قرر النبي ﷺ أن ينزلوا على حكمه فيهم، فأرسل إلى أبي لبابة، فأرادوا أن يستشيروه في أمرهم وسألوه: - هل ترى أن ننزل على حكم محمد ﷺ؟ فقال لهم أبو لبابة: نعم - وأوماً إلى حلقه بالذبح - أي إنكم إذا نزلتم على حكمه فلن يكون إلا الذبح - فأحس أبو لبابة أنه قد خان الله ورسوله ﷺ، فندم وعاد فربط نفسه في عمود المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب علي مما صنعت.

روى ابن اسحاق بسنده أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله من السحر وهو في

وأما الثروة الحديثية التي أثرت عن أم المؤمنين أم سلمة فتبلغ ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، حفظتها عن رسول الله ﷺ.

الرحيل:

كانت أم سلمة رضي الله عنها من المعمّرات؛ فقد عاشت نحواً من تسعين سنة، وعاشت الخلافة الراشدة، وامتدت بها الحياة إلى عهد يزيد بن معاوية.
قال الإمام الذهبي: وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.
عمّرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغُشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى الله.
فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها.

ملامح الشخصية:

كانت أم سلمة رضي الله عنها من أجمل النساء، كانت عاقلة لبيبة حسنة الرأي والفهم، رحيمة طيبة القلب صفية النفس تجاه الناس جميعاً (وتؤثر الحلم والصفح)، وفي الوقت ذاته لم تكن تخجل من الصدع بالحق في وضوح وصراحة، قوية في الشدائد تملك زمام نفسها عند الغضب وتبتعد عن مواطن السوء.

خواطر وعبر:

- 1 - هجرة الأوطان أمر عزيز على النفوس، ومن فطرة النساء حب البيت والاستئناس بالأهل والعشيرة، فكم كانت تضحية هذه المجاهدة الصبورة التي فرّت بدينها من الفتنة.
وقد ضربت لنا أم سلمة مثلاً رائعاً في التضحية في قصة هجرتها العظيمة إلى المدينة، وقد تحملت فراق الزوج والابن.
وهناك بعض نساء العصر الحديث ممن شابهن أم سلمة في تضحياتها وصبرها، فصبرن على فراق أزواجهن وهم في سجون الظالمين، وهن يتحملن أعباء أسرهن، ويواجهن الأخطار في شجاعة وجلد، ويحتسبن هذا كله في سبيل الله تعالى، متأسيات بأم سلمة رضي الله عنها.
- 2 - إن موقف أم سلمة في وفاة زوجها من الوفاء ما لا مثيل له، ويكشف عن مدى الحب الذي كان بينها وبين زوجها، فهي لم تكن ترى أحداً في الدنيا خيراً منه، وهو يدعو لها أن يرزقها الله بعد موته من هو خير منه.

فعجباً لهذه الأنفس؟ أ هم بشر مثلنا؟ أم لهم أنفس ملائكية؟
إنه الإيمان واليقين بالله حين يملأ جنبات النفس، فيضفي جمالاً وبهاءً على الحياة
رغم ما بها من آلام.

3- يبدو في شخصيتها شدة الوضوح وشدة الصراحة وقوة الحججة والبيان مع العقل
والاتزان، ويتجلى ذلك في هذه المواقف:

أ- صراحتها عندما أبلغت النبي ﷺ بما تراه، فقد تكون عقبات في طريق زواجها
منه ﷺ، وهي أنها شديدة الغيرة، وأن لديها أبناء، وأنها كبيرة السن، فهي تريد أن
تعرف كيف سيكون وضعها وأبنائها بعد الزواج من رسول الله ﷺ، وقد
أغضب هذا سيدنا عمر رضي الله عنه، واعتبرها أنها ردت رسول الله في حين طمأنها النبي
وأعطاهما جواباً لكل ما أشارت إليه.

ب- قوة الشخصية تظهر عند الإمساك عن الغضب، فقد أوشكت أن تضرب
خادماً بالسواك ثم أمسكت عن ذلك، وقالت (فيما معناه): لله در التقوى، ما
تركت لذي غضب أن ينفذ غضبه.

فما بال النسوة اللائي يواصلن الضرب في أولادهن ليل نهار؟

ج- ظهرت قوة الحججة والبيان عندما أفحمت الفاروق عمر بن الخطاب ذا القوة
والمهابة بقولها (عجباً لك يا ابن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي
أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟)

فقال عمر (فأخذتني أخذاً كسرتني به عند بعض ما كنت أجد)
واعجباً لقوة تأثيرها وجرائتها في الحق.

ج- وفي صلح الحديبية عندما أشارت على النبي مشورتها المعروفة، وحفظت
المسلمين من معصية الرسول، وهذا يدل على حكممتها وعقلها الراجح.

فاطمة الزهراء

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(خير عروس في
أبسط زواج)

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(خير عروس في أبسط زواج)

المولد والنشأة:

ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أثناء بناء قريش الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنوات، وقد كانت منذ طفولتها وضاعة الجبين بهية الطلعة، حتى إذا شبت وترعرعت كانت أشبه الناس بأبيها. ففي مهد الإيمان نشأت نشأة جد واعتكاف؛ نشأة وقار وحياء، فكانت ساكنة النفس، طيبة القلب، صافية السريرة، لا تعرف إلا الإيمان.

حنان في تربية البنت:

عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً ولا حديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع.

هجرتها:

هاجرت إلى يثرب بعد الهجرة النبوية بقليل بصحبة أختها أم كلثوم وأم المؤمنين سودة بنت زمعة، حملهن زيد بن حارثة وأبو رافع إلى المدينة حيث استقبلهن رسول الله ﷺ فرحاً بقدمهن.

زواجها بعلي :

كان النبي ﷺ قد وعد علياً أن يزوجه فاطمة، وهو وعد صادق أنعم به خير البرية على خير الأبطال. وعلم أهله من بني هاشم بالخبر فأخذوا يحثونه على أن يخطبها ولكنه تهب الموقف.

وقد روى بعد ذلك ما حدث فقال: كانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما أستطيع أن أتكلم، فقال: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قال: نعم، قال: وهل عندك شيء تستحلها به؟ لا

والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟ فقلت: عندي، والذي نفسي بيده إنها لحطيمة - أي تحطم السيوف - ما ثمنها أربعمئة درهم.

استشارة البنت:

كان الرسول الكريم يجعل أمر بناته بأيديهن، وقد استنّ استشارتهن في أمر زواجهن، فقال للزهراء: إن علياً يذكرك، فسكتت، فزوجها.

إشهار الزواج:

وجمع النبي ﷺ الناس ليشهر الخطبة (فتبسم رسول الله ﷺ لعلي وقال: يا علي إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة وإني زوجتكها علي أربعمئة مثقال فضة، فقال علي: رضيت يا رسول الله، ثم إن علياً خرّ ساجداً، فلما رفع رأسه قال الرسول ﷺ: بارك الله لكما، وعليكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب، قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب).

حفل الزفاف وجهاز العروسين:

أخذ علي يعد العدة للزفاف السعيد، فباع بغيراً - كما قيل - بأربعمئة وثمانين درهماً، فقال النبي ﷺ: «اجعلوا ثلثين في الطيب، وثلثاً في الثياب».

وقد وليت أم أيمن (رضي الله عنها) أمر إعداد جهاز العروس، فكان فيما جهزتها به سرير وخميلة من قطيفة ووسادة من آدم حشوها ليف، وتورة من آدم يغسل فيه، وسقاء ومنخل ومنشفة وقدر ورحاءان وجرتان.

ولما كانت ليلة العرس في أوائل ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة أولم علي بن أبي طالب وليمة يبدو أنه بذل فيها الكثير مما أفاء الله عليه من بدر وبني قينقاع، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته.

المجاملات في العرس:

وقدم أخوال النبي من الأنصار لعلي بعض الهدايا العينية مشاركة منهم في إعداد هذه الوليمة على مألوف عادة الأهل والأقارب.

ولما انتهت الوليمة انتقلت أفضل عروس إلى المنزل الذي أعده علي لسكانهما.

تبسط النبي مع زوج ابنته:

وكان رسول الله ﷺ قد أمر علياً ألا يدخل على فاطمة حتى يجيئه، فتبعها بعد قليل من وصولها حتى وقف على الباب فاستأذن فأذن له فقال... أثم أخي؟ فتعجبت أم

أيمن وقالت وهي تتبسط معه... بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أخوك؟ قال.. علي بن أبي طالب... قالت... وكيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك؟ قال: هو ذاك يا أم أيمن، ثم دعا بماء في إناء وتلا بعض آيات القرآن الكريم وهو يحرك الماء بيده، ثم دعا عليها فنضح على كتفيه وصدره وذراعيه من ذلك الماء، ثم دعا فاطمة فجاءت بغير خمار تعثر في ثوبها حياءً، فنضح عليها من ذلك الماء ثم قال: والله ما آلوت أن زوجتك خير أهلي، ثم دعا لهما قائلاً... «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما»... ثم انصرف وتركهما يرشfan من السعادة الزوجية الصافية ما شاء الله لهما أن يرشفا.

مواقف من حياة الزهد:

ويذكر بعض أصحاب السير أن النبي خرج ذات مرة في سفر فوضعت فاطمة مسكتين من ورق وقلادة وقرطين، وسترت باب البيت لقدم أبيها وزوجها، فلما قدم النبي دخل عليها ووقف أصحابه على الباب لا يدرون أقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول الله وقد عرف الغضب على وجهه حتى جلس على المنبر، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والستر، فنزعت قرطبيها وقلادتها وميكتيها ونزعت الستر، وبعثت به إلى رسول الله، وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول لك: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: قد فعلت، فداها أبوها ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء.

ولم يكن لهما خادم مع كثرة الخدم عند الناس، بل كانا يتعاونان معاً في مهنة البيت، كما يتعاون رسول الله مع أهل بيته فيها.

وكان علي عليه السلام يعمل أجيراً في بعض الأحيان ليكسب قوته بيده، وكان يأتيه رزق وافر من وظيفته كجندي في جيش المسلمين ومن الغنائم التي يغنمها المسلمون من العدو في ميادين الجهاد، ولكنه كان ينفق ذلك كله في سبيل الله ولا يحتفظ لأهل بيته إلا بالكفاف ثقة بالله وتوكلً عليه، وتفانياً في طلب مرضاته.

وكانت تعيش معهما في هذا البيت المتواضع فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وأم علي عليه السلام.

(1) رواه أحمد في مسنده 1/ 106، من حديث علي رضي الله عنه.

يعلمها في رفق ولين كيف تملك الزوجة زمام زوجها، وأنها لا تصبح أميرة في بيتها إلا إذا تصرفت بحيث تحوز رضا زوجها فتعمل على راحتته وفق طبعه وهواه. ومما يؤثر من بلاغته وحكمته في ذلك الموقف قوله لها: «يا بنية اسمعي واسمعي واعقلي.. إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوى زوجها».

فلما سمع علي تلك النصيحة الموجزة البليغة شعر أنه جار عليها، وعاهد نفسه أن يكف عما كان يصنع، وقال لها: والله لا آتي ما تكرهين أبداً.

3- وفي أحد الأيام بلغ العتاب بين الزوجين غايته، فقد نما إلى فاطمة أن علياً يهيم بالزواج من بنت أبي جهل، فذهبت إلى أبيها باكية.... فصعد المنبر والغضب باد عليه وقال: ألا إن بني هاشم بن مغيرة استأذنوني في أن ينكحوا بنتهم علياً، ألا وإني لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم إلا إن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإن ابنتي بضعة مني، يريني ما يريها ويؤذيني ما آذاها، وإني أتخوف أن تفتن في دينها.

وللقضية وجه آخر غير أن النبي ﷺ يكره أن تؤذي ابنته -وهو أنه لا يرضى أن يجمع بيت علي بين بنت رسول الله وبنت عدو الله.

لماذا فكر علي في هذا الزواج؟

لعله عرض عليه هذا الأمر فخجل أن يرفضه ولم يعطهم وعداً بالزواج منها، فشاع الخبر وانتشر حتى بلغ فاطمة فجاءت إلى أبيها تستنجد به، وكان القوم قد سبقوا إلى النبي ﷺ يستشيرونه في زواج علي من بنت أبي جهل فكره النبي ﷺ ذلك.

جهادها:

في يوم أحد جرح رسول الله ﷺ جرح وجهه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي يسكب عليه بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد إلا كثرة فأخذت قطعة حصير فاحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

* وظلت تتعاش مع حياة الجهاد التي كان النبي ﷺ وأصحابه يعيشونها ما بين عبادة وطلب علم ودعوة إلى الله وجهاد في سبيله.

ثم شهدت بعد ذلك غزوة الفتح، وكان لها موقف مشرف عندما رفضت أن تجير أبا سفيان لما طلب منها أن تشفع له عند رسول الله.

وفاة الحبيب ﷺ:

به لحوقاً) قالت: فضحكت⁽¹⁾.

وبعد الوفاة:

تعلت (أَي تلهت عنه وتشاغت).

بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن أذن له؟ قال: نعم.

قال الذهبي: عملت السنة، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره.

وفاتها:

الصلاة والسلام، فقالت لها بصوت واهن خفيضاً أماه اسكبي لي غسلاً.

واغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم لبثت ثياباً لها جدداً، واضطجعت

واستقبلت القبلة تنهياً للقاء ربها ولقاء أبيها، ثم أغمضت عينها ونامت، وقام على

فحملها باكيًا ودفنها ليلًا في البقيع، ثم ودعها وعاد محزونًا إلى صغاره.

(1) أخرجه ابن عساكر (1/ 289)، والطحاوي في مشكل الآثار 7/ 413.

لقيت فاطمة ربها وهي في الثلاثين من عمرها أو دونها بقليل، ولكنها قد أدت للبشرية حقها في إنجاب الحسن والحسين ورقية وأم كلثوم عليهن السلام جميعاً.

خواطر وعبر:

1- في نشأة السيدة فاطمة عليها السلام إرشاد لكل أب وكل أم حتى يكون لهما «شاب نشأ في طاعة الله»، ورغم كون فاطمة البنت الصغرى إلا أنها لم تكن المدللة التي لا تتحمل المسؤولية؛ وإنما نشأت في زهد وجدية.

2- حياء فاطمة كان واضحاً في يوم زفافها، وعندما استحيت أن تطلب الخادم من أبيها ولو كان غيرها مكانها لاشتكت وبكت لمعرفة قدرها عند أبيها.

3- في قصة زواجها منارة لكل فتى وفتاة وكذلك للآباء، ففيه:

* التيسير في المهر.

* تبسط النبي ﷺ مع زوج ابنته

* بساطة المسكن

* الوليمة التي بذل فيها المال، فهي سنة النبي ﷺ

* مجاملات العرس باب من أبواب التكافل لا من أبواب الديون

* الدعاء للعروسين بالبركة أمر هام، ودعاء الوالد لولده مستجاب.

4- تقدم لنا فاطمة النموذج الرائع في الزهد والتقشف، وهي سيدة نساء أهل الأرض:

* في جهازها

* في عملها بالمنزل وإرهاقها رغم ضعف صحتها ونحول جسدها.

* زهداها في الحلي والذهب

5- إن في ذكر الله تعالى القوة لمن أرادها؛ قوة نفسية؛ روحية؛ وأيضاً جسمانية لكل امرأة تطلب من الله أن يعينها في كفاحها الدنيوي، وأنه لسكينة لقلبها ونعيم دائم لها في الآخرة.

6- الخلافات الزوجية طبيعة الحياة الدنيا، ولا توجد حياة بلا خلافات إلا في الجنة؛ فعلياً إذن محاولة الحد من حدتها وجنوحها، وفي حياة فاطمة عليها السلام القدوة والمثل الأعلى

7- وقد علمها النبي ﷺ -كما علم كل فتاة وامرأة- كيف تكسب قلب زوجها عندما قال لها « لا إمرة لامرأة لا تأتي هوى زوجها » وقد استجابت بالفعل، كذلك على

كل أب أن يوصي ابنته بتلك الوصية الرائعة ، والتي تعد مفتاحاً لباب السعادة الزوجية ، وهي تشبه وصية الأم التي قالت لابنتها: « كوني له أمة يكن لك عبداً » 8- والعجيب أن علياً عندما سمعها لم يتعال ويقول لها: أرايت أنك أخطأت و....و...ولكنه عزم على ألا يغضبها مرة أخرى ، وهذا ينبع من نبيل أخلاقه ، وصدق نيته ، وحبه لزوجته.

9- نلمس في حياة فاطمة وعلى روح الحب والود والوفاء في كل دقيقة تمر من حياتهما الزوجية، وهي هبة الله تعالى ومنته ، يعطيها من يشاء من عباده، وهذه رسالة لكل فتاة تتمنى أن تمتد الرومانسية طوال حياتها مع زوجها لا في فترة الخطوبة فقط.

10- عمر خير نساء البشر كان قصيراً؛ لكنه امتلأ نوراً يشع على البشرية إلى يوم القيامة.

فاطمة بنت أسد

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(الحماسة الطيبة)

فاطمة بنت أسد رضي الله عنها

(الحماة الطيبة)

من هي؟

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية والددة علي بن أبي طالب، وحماة فاطمة الزهراء، وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت خليفة. حظيت برعاية النبي ﷺ حينما كفله أبو طالب، فكانت أمه بعد أمه؛ فهي من أعلم الناس وأخبرهم برسول الله، فقد قضى قرابة عقدين من حياته في كنفها. لقد قال النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى - وفرج بينهما» فما ظننا بامرأة كفلت أعظم وأطهر یتيم في الدنيا ألا وهو الحبيب ﷺ.

البركة في بيت فاطمة:

كان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل النبي معهم شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم. وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم ناولهم فيشربون فيروون عن آخرهم، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده.

نداء الإيمان:

استجابت فاطمة بنت أسد لنداء الإيمان منذ البداية، وأسلمت فحظيت بشرف الصحبة النبوية ومن الله عليها بإسلام أولادها جميعهم وهم: عقیل و جعفر وعلی وأم هانئ وطالب؛ بينما عظم علی زوجها أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، واعتذر بقول رفيق فقال: لا تعطني من الأمر مللاً أطيع.

في سبيل الله:

لقد كانت من السابقات المسارعات في الخيرات، وها هي تدفع بفلذة كبدها إلى النبي ﷺ ولم تعارض تعريضه للخطر في العملية الفدائية العظيمة التي قام بها، حيث نام في فراش النبي ﷺ في الهجرة.

الحماية الطيبة:

مکانتھا:

رحلة الخلود :

لقد كان حظ فاطمة بنت أسد حظاً مبارکاً في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ ماتت في حياة النبي ﷺ وشهدتها وتولى دفنها.

لما توفيت فاطمة بنت أسد أم علي دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس على رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي فقد كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني وتمنعين نفسك طيها وتطعمينني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة». ثم إن رسول الله صَبَّ الماء الذي فيه الكافور عليها بيده، وخلع قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ولما حُفِرَ قبرها وبلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه ثم قال:

«الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين» ثم كبر عليها أربعاً، ثم أدخلها لحدها بمشاركة العباس وأبي بكر رضي الله عنهما. وقد ألبسها النبي قميصه لتكسى من حلل الجنة، واضطجع في قبرها ليهون عليها ضمة القبر.

وقد أعفيت فاطمة من ضغطة القبر إكراماً لرسول الله ﷺ فكان حقاً على القبر إن يشرق بنور الله، ويفيض برحمته على امرأة كانت قدوة رائعة لكل النساء.

خواطر وعبر:

- 1- لقد كفلت فاطمة محمداً ﷺ وهو يتيم، وآثرته على نفسها فكافأها الله بأن هداها وأحسن خاتمتها.
- 2- رغم رفض زوجها لأن يسلم إلا أنها لم تتردد في السبق إلى الإسلام، وفي ذلك أكبر دلالة على نقاء سريرتها وقوة شخصيتها، فلم تكن مجرد تابع لزوجها.
- 3- كان إسلامها بركة على أهل بيتها جميعاً، فكانوا دعائم رئيسية لهذا الدين بفضل تربيتها وتشجيعها لهم.
- 4- كانت مكانتها عظيمة، حيث نصرت الحق في بدايته، ولم يكن قد ظهر الإسلام بعد، فعلى المرء أن ينصر الحق مهما زاد أعداؤه ومهما قل أنصاره.
- 5- نحن أمام نموذج زكي لبيت العائلة -عائلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيت قد شغل بمعالي الأمور عن سفاسفها، فلم يعد هناك مكان للمشاجرات التافهة بين الحماة والزوجة.
- 6- * نلاحظ اهتمام رب البيت - الزوج - بشئون البيت البسيطة وتقسيم أعمال المنزل بين أمه وزوجته. فعلاقة الحماة بالزوجة مسئولية الزوج.

فما بال بعض الرجال يتركون البيت تمامًا ويترفعون عن التدخل في شئونه مهما بلغ حجم الخلافات؟ وما بال البعض الآخر يترك زوجته لأمه كأنه أتى لها بخادمة؟ والبعض ثالث يجنح تمامًا إلى زوجته غافلاً ومتغافلاً حق أمه في البر....

- 7- فهلا نتعلم من قصة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها؛ حتى تكون الحماة أما تحتضن ابنها «الزوج والزوجة»، وحتى يعود بيت العائلة سكناً واحتواءاً للأسرة الناشئة حتى يشتد عودها، لا أن يكون وبالاً عليها، وناراً تضطرم فتنسفها قبل أن تنبت.
- 8- رأينا في هذه القصة الوفاء كل الوفاء من النبي الكريم ﷺ لهذه السيدة، حيث كان يقلع عنها في المدينة، فرغم انشغالاته المستمرة يشعرها بأنه لم يزل ابنها الذي يحبها.

صفية بنت
عبد المطلب
(الشجاعة القوية)

صفية بنت عبد المطالب

(الشجاعة القوية)

هي عمّة رسول الله ﷺ وشقيقة حمزة أسد الله كانت من أولئك الذين أقبلوا على الإسلام طائعين بقلوب واعية وهمم عالية، وقد كان إسلام صفية مبكرًا - عندما دعا رسول الله ﷺ عشيرته الأقربين فخصّ ابنته فاطمة وعمته صفية بما أمره الله بتبليغه.

تربيتها لابنها:

هي أم الزبير بن العوام أول فارس سلّ سيفًا في سبيل الله، نشأته بعد وفاة أبيه على الفضائل والمثل العليا، ودربته على فنون القتال، وعلمته الكر والإقدام، فشب بطلاً مغوارًا، وورث أبناؤه منه الخلق الفاضل والشجاعة النادرة.

شاعرة الهاشميات:

كان شعرها يتدفق من فمها فياضًا بالمعانى الرائعة، ويمتاز بالبرقة وصدق العاطفة وروعة الحماسة؛ فقد ورد أنها كانت تهدد ابنها الزبير وتشجعه بشعر يسيل حماسًا وبسالة.

ثباتها وجلدها:

(1) عند مقتل أخيها حمزة أسد الله في غزوة أحد رآها رسول الله ﷺ مقبلة تنشده بين القتلى، فقال لابنها الزبير: ردها عن رؤيته فقال لها: يا أمة إن رسول الله يأمرك إن ترجعي، فدفعته في صدره وقالت: ولم؟ قد بلغني أنه قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أَرْضاني بما كان في الله من ذلك لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى، فجاء الزبير فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: خلّ سبيلها - فجاءت واسترجعت واستغفرت له وقالت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، حسبي الله ونعم الوكيل، غفر الله لك يا أخي وجزاك جزاء عباده الصالحين.

(2) شاركت صفية المجاهدين في أكثر الغزوات خلف رسول الله ﷺ تسقي الجند، وتداوي الجرحى وترقب العدو هنا وهناك.

ولما علم النبي ﷺ بما كان. قالت صفية: «فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت أقصي نواجذه، وما رأيت ضحك من شيء قط ضحكه منه» (1).

في مقعد صدق

هكذا عاشت صفية وهي تؤثر رضي الله على كل شيء، وظلت وفيه بما عاهدت حتى توفيت سنة 20 هـ في خلافة عمر رضي الله عنه عن 73 سنة، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها.

خواطر وعبر

- 1- كانت صفية قدوة في الصبر والجلد في حين كانت النساء في الجاهلية يفعلن الأفاعيل عند فقد الأحبة كما يحدث في جاهلية العصر في مثل هذا الموقف.
- 2- قدوة في تربية ورعاية المجاهد منذ الصغر، وكم نحن في أمس الحاجة إلى ذلك الآن، وأن نطرح الدعة والتدليل الزائد لأبنائنا الأبطال، فالمستقبل ينتظر منهم بطولة الزبير وشجاعته.
- 3- بدا واضحاً شعور صفية بالمسؤولية تجاه من معها دون أن يكلفها أحد بذلك، فهي قدوة لكل مسلمة قوية.
- 4- في موقفها مع اليهودي كانت حكيمة في اتخاذ القرار وعدم العجلة في التصرف، ونلاحظ أنها لم تخبر أحداً من النساء حتى لا تحدث بلبلة وينكشف أمرهن لليهود.
- 5- في شجاعتها وجرأتها ما يثير الدهشة والانبهار، وما نتطلع إليه في عصرنا الحاضر، لتشارك المرأة في تحرير الأوطان، ونصرة الحق.
- 6- يظهر في عدم تعرضها لسلب الرجل مدى ما تتحلى به من العفة والكرامة والحياء، وفي هذا بلاغ لكل مسترجلة أن البطولة لا تعني إن تجلس وسط الرجال كأنها واحد منهم.

* * *

(1) أخرجه ابن عساكر (12/433).

**أمامة بنت أبي
العاص
(حبيبة الحبيب)**

أمامة بنت أبي العاص

(حبيبة الحبيب)

أبوها هو أبو العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، ونشأت نشأة مبكرة طيبة رغم الظروف التي أحاطت بها منذ الصغر وإلى أن توفاه الله تعالى.

بين أبيها وأمها:

لقد أسلمت أمها زينب وآمنت وصدقت بما جاء به أبوها رسول الله ﷺ، ولكن أباهَا أبا العاص بن الربيع ظل على شركه، وأقامت معه زينب وهو مشرك حتى هاجر الرسول ﷺ.

أخذت زينب رضي الله عنها ترضع ابنتها حب الله ورسوله، وتغرس فيها فضائل الأخلاق. وأما أبوها فقد كان ذا خلق قويم، كان حنوناً عطوفاً عليها، وكان يحب أمها زينب حباً جمّاً، حيث رفض أن يطلقها كما أمره زعماء قريش عندما أرادوا أن يكيدوا لمحمد ﷺ في بداية الدعوة إلى الله، والعاص هو ابن اخت خديجة بنت خويلد.

بعد الهجرة:

عاشت أمامة مع أبيها وأمها في مكة، بينما هاجر رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، فأصاب زينب حزن شديد لفراق أبيها وأخواتها: فاطمة ورقية وأم كلثوم. وازدادت حزناً عندما خرج زوجها أبو العاص إلى المدينة مع صناديد قريش ليحارب رسول الله، فجلست تفكر وتدعو الله أن يفرج عنها ذلك الكرب.

أمامة تهاجر مع أمها:

في غزوة بدر أسر أبو العاص مع من أسر من قريش، فبعثت زينب قلايتها إلى رسول الله ﷺ لتفتدي زوجها، فلما رآها الرسول رَقَّ لها بشدة وقال لأصحابه: (إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا) (1). قالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي كان لها.

(1) رواه أبو داود في سننه 2/ 68، رقم (2692)، باب في فداء الأسير بالمال، من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه الشيخ الألباني.

وكان النبي ﷺ قد أخذ على أبي العاص عهداً أن يخلي سبيل ابنته، وبعث رسول الله ﷺ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال: كونا بيطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتياني بها، ففعلا.

فلما قدم أبو العاص مكة أوفى بعهده، فأمرها أن تلحق بأبيها، فخرجت تجهز سريعاً وقدم لها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيداً فركبته، ثم خرج بها نهائراً وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال قريش فخرجوا في طلبها، وحاولوا منعها من الهجرة فرجع بها كنانة، ثم عاود الخروج ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدمها بها إلى رسول الله ﷺ.

أمامته في رحاب الحبيب:

عاشت أمانة في رحاب النبي ليغدق عليها من عطفه وحنانه، فلقد كانت أول حفيدة للنبي.

لقيت أمانة من النبي ﷺ الرعاية، وأفاض عليها من حبه ما جعله يحملها في الصلاة، فقد ورد في الصحيح عن أبي قتادة قال: «بينما نحن ننتظر رسول الله في الظهر أو العصر وقد دعاه بلال للصلاة إذ خرج إلينا وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته على عنقه، فقام رسول الله ﷺ في مصلاه، وقمنا خلفه وهي في مكانها الذي هي فيه»⁽¹⁾.

*وهذا يشير إلى مدى اهتمام النبي ﷺ بالأطفال ومراعاة طفولتهم حق رعايتها في ضوء هدى الإسلام.

أحب أهلي إليّ:

« روت أم المؤمنين عائشة أن النجاشي أهدى إلى النبي ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فصبه حبشي فأعطاه أمانة (رضي الله عنه) ».

أهدي لرسول الله ﷺ قلادة من جزع - خرز - ملمعة بالذهب ونساؤه مجتمعات في البيت كلهن، وأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: (كيف ترين هذه؟) فنظرن إليها فقلن: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب !. فقال: (ارددنها إلي)، فلما أخذها قال: (والله لأضعنها في رقبة أحب أهل بيتي إليّ).

(1) رواه أبو داود في سننه 305 / 1، رقم (920)، باب العمل في الصلاة، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

قالت عائشة: «فأظلمت عليّ الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري، منهن ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمن جميعاً، فأقبل حتى وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص فسري عنا» (1).

وفي هذا منقبة عظيمة لأمامة حتى كادت أم المؤمنين عائشة تغار منها.

أبو أمامة يعود إليها:

فلقد أقام أبو العاص في مكة، وأقامت زينب وابنتها في المدينة حين فرق الإسلام بينهما، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبلطاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً بمال له وأموال الرجال من قریش فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه، وهرب أبو العاص حتى دخل على زينب فاستجار بها، فأجارته فأقر الرسول إجارته، وقال لها: أي بنيه أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له.

وقد رد الصحابة إلى أبي العاص ماله وما كان معه إكراماً لرسول الله ﷺ ولا بنته، ولكرم أبي العاص ووفائه عندها أسلم أبو العاص ورد النبي على أبي العاص وزوجه زينب، وفرح بإسلامه فرحاً شديداً، واكتملت سعادة أمامة بالعيش مع أبيها وأمها في جوار الحبيب ﷺ.

أمامة تفقد أمها:

لم تدم سعادة أمامة بعيشها بين أبلطويلاً ؛ إذ نامت أمها زينب رضي الله عنها على فراش الموت في بداية السنة الثامنة من الهجرة، وكانت مريضة منذ هجرتها من مكة إلى المدينة. وحزنت أمامة لموت أمها حزناً شديداً، وضمها العاص إلى صدره في حنان، وأخذ يمسح عن عينها الدموع.

وكان رسول الله ﷺ يكرم أمامة، فقد وجد فيها ما يخفف عنه حزنه على زينب. وقد عاشت أمامة في كنف خالتها فاطمة الزهراء بعد فقد أمها، فكانت تكرمها وتحنو عليها.

أمامة تفقد جميع أهلها:

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة انتقل الحبيب ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وأعقب

(1) رواه الطبراني في الكبير 22/ 442، رقم (1080)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وجلست أمامة تفكر في تلك الدار التي كانت بالأمس القريب عامرة بالأحباب، ولكنها كانت تشعر بأن الله سيكرمها.

زواجها:

وكان عليّ قد قال لأمامة لما حضرته الوفاة: إن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرًا.

وبموت أمانة انقطع عقب زينب ابنة رسول الله ﷺ، وليس لزينب ولا لرقية ولا لأم كلثوم عقب وإنما العقب لفاطمة رضي الله عنها.

خوابطر وعبر:

- 3- نستطيع أن نستخلص القدوة من النبي ﷺ في طريقة التربية للصغار فيما يلي:

أ) كان يحملها في الصلاة، ولا يخجل من ذلك أو يترفع عنه كرجل.
 ب) كان يعطيها المزيد من الحنان متفهمًا حاجة الأنثى إلى حنان أبيها أو جدها أو خالها أو عمها.

ج) الهدية تسعد الصغير، وتشعره بأهمية وجوده بين الأبوين.
 د) كان النبي ﷺ يعيش حياة أمانة كأنثى فيهدي لها ما تحبه وتفرح به.
 هـ) كان يعطيها الاهتمام، ويبلغها مشاعره عندما قال أمام الجميع أنها أحب أهله إليه.

و) الأسلوب الذي قدم به الهدية كان أسلوبًا مثيرًا مشوقًا جاذبًا للانتباه.
 ** والتربية بهذه الطريقة تجعل الابنة قريبة كل القرب من أهلها، فيسهل تعليمها وإكسابها للخصال الطيبة كما كانت أمانة ﷺ.

4- ما يلفت النظر أن فاطمة أوصت عليًا بالزواج من أمانة، ثم أوصى علي بزواجها من المغيرة، وفي ذلك رعاية بالغة لها حتى في الكبر كما أنه يوحى بالهدف الرئيسي من الزواج عند الصحابة ألا وهو المسؤولية - فكل فرد من المسلمين يبحث عن المسؤولية.

5- نلاحظ فارق السن بينها وبين علي - كما أتوقع - وقد يكون في ذلك حكمة في تعويض الابنة فقد أبيها.

أم أيمن
الحبشية
(الأم الحنون)

أم أيمن الحبشية (الأم الحنون)

من هي؟!

إنها أم أيمن الحبشية، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو، ورثها النبي ﷺ من أبيه مع خمسة جمال وغنم، وقد كانت أسيرة في السبي الذي كان في جيش أبرهة، فأخذها عبد المطلب ثم أعتقها النبي ﷺ عندما تزوج بخديجة أم المؤمنين ﷺ.

«هذه بقية أهل بيتي»:

من أوائل المواقف الوضيئة لأم أيمن موقفها الرائع يوم إن ماتت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، فقد توفيت آمنة بالأبواء⁽¹⁾، وهي عائدة من زيارة أخواله بني النجار بالمدينة المنورة، وكانت أم أيمن بصحبته في هذه الزيارة. وفي تلك اللحظات الحرجة الأليمة، ظهرت أم أيمن بعطفها وبرّها برسول الله ﷺ الذي كان طفلاً في السادسة، وعادت به إلى مكة وحيداً يتيماً حزيناً على فراق أمه آمنة.

وفي سجل المودة الإنسانية الناصع، تبرز أم أيمن لتسجل أروع الأعمال في حضانة النبي ﷺ، وعنايتها الفائقة به. وقد نشأ رسول الله ﷺ وهو يرى أم أيمن تتحفه وتكرمه وتبرّ به؛ ولهذا كان يقول لها: (يا أمّه)، وإذا نظر إليها قال: (هذه بقية أهل بيتي)⁽²⁾.

مشاركة النبي في الأفراح والأحزان:

كانت أم أيمن تفرح بأي شيء يدخل السرور والسعادة على قلب النبي ﷺ، وتحزن إذا حدث ما يدخل الحزن على قلبه، فهي تشارك الحبيب فرحته بزواج (علي) من (فاطمة) ﷺ، فتقوم مع أسماء بنت عميس ﷺ بتجهيز فاطمة لزوجها علي.

(1) قرية بين مكة والمدينة.

(2) رواه الحاكم في المستدرک 201/16، رقم (7012)، عن شيخ من بني سعد بن بكر.

- عندما خالف الرماة أمر الرسول، واستطاع المشركون إن يقتلوا عدداً كبيراً من الصحابة، وانهمز البعض الآخر، فقامت أم أيمن تحثي في وجوههم التراب، وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك، ثم اتجهت نحو رسول الله تستطلع أخباره في نسوة معها حتى اطمأنت على سلامته، فحمدت الله عز وجل.
- 3- وفي غزوة خيبر خرجت أم أيمن لتقدم ما تستطيع أن تقدمه لدين الله جل وعلا. ولكن ابنها أيمن رضي الله عنه قد تخلف عن غزوة خيبر لعذر منعه من الخروج، فظنت أنه جبن فغيرته بالجبين والخوف، ولم تعرف أنه لم يستطع الخروج لمرض فرسه.
- 4- ويوم حنين كانت في ركب المجاهدين مع ولديها أيمن وأسامة رضي الله عنهما، وكان ولداها من المائة الصابرة التي ثبتت حول النبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ، وسقط أيمن شهيداً، ولم يزدها استشهادها إلا إيماناً وتسليماً.
- 5- وفي مجال الصبر والتسليم لقضاء الله عز وجل كانت أم أيمن ممن ضربن أروع الأمثلة في ذلك، ففي سرية مؤتة؛ كان زوجها زيد بن الحارث أميراً على الجيش الغازي في سبيل الله، وكان أول الشهداء، وتلقت نبأ استشهاد بنفس راضية صابرة، واحتسبته عند الكريم المتعال.

معجزة لأم أيمن:

عن عثمان بن القاسم قال: «لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت وليس معها ماء وهي صائمة، وجهدت فدلني عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت وكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش.... ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت».

مكاتها ومزاح النبي معها:

لأم أيمن رضي الله عنها مكانة عظيمة وقدر كبير عند النبي صلى الله عليه وسلم، يكفيها من الفضل أنه كان يقول فيها: (من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن)⁽¹⁾. وهذا مما عظمها في عين زيد بن حارثة فتزوجها رضي الله عنها.

وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديها (يا أمّه... يا أمّه) كلما رآها أو تحدث إليها، وكان يصغي إليها، ويعطف عليها ويأنس بها ويمازحها؛ فقد سمعها في يوم حنين تدعو الله

(1) رواه ابن عساكر عن سفيان بن عتبة مرسلًا، وابن سعد في الطبقات 8/ 224.

عز وجل بلكنتها الأعجمية: (سبَّت الله أقدامكم)، فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغي إليها ويداعبها بين صهيل الخيول وصليل السيوف، وأقبل عليها يقول: (اسكتي يا أم أيمن، فإنك عسراء اللسان)⁽¹⁾.

ويبدو أن ولكنه الأعجمية عند أم أيمن قد تحكمت في لسانها، وأعاقتها عن النطق الصحيح، من ذلك ما رواه أبو جعفر الباقر قال: كانت أم أيمن إذا دخلت على النبي ﷺ قالت: سلام لا عليكم - بدلاً من سلام الله عليكم - فرخص لها أن تقول: السّلام. وعن أنس قال: انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى أم أيمن فانطلقت معه، فناولته إناء فيه شراب، فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يرده. فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه⁽²⁾. قال الإمام النووي: معنى الحديث: أن النبي ﷺ رد الشراب عليها إما لصيام، وإما لغير ذلك، فغضبت وتكلمت بالإنكار والغضب، وكانت تدل - تتدلّل - عليه لكونها حاضته⁽³⁾.

وفاة الحبيب :

لما توفي رسول الله ﷺ، وقفت أم أيمن والحزن يملأ قلبها، والدموع تفيض من عينيها، فجاشت عاطفتها البريئة، ورثته بقصيدة جميلة.

ومن المثير والممتع أن تنطق أم أيمن بالشعر والحكمة وهي عسراء اللسان، ولكن هذا لم يؤثر على عقلها وقلبها وحكمتها، وفي هذا دليل على العلم النبوي الذي تأثرت به من رسول الله.

ومما يدل على علمها وفضلها وعقلها الوافر ما أخرجه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهينا إليها بكت.

فقال لها: ما يبيكيك؟ ما عند الله خير لرسوله.

فقال: ما أبكي ألا أكون أعلم أن عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

(1) أخرجه ابن سعد عن أبي الحويرث 225 / 8.

(2) رواه مسلم في صحيحه 4/ 1907، رقم (2453)، باب من فضل أم أيمن رضي الله عنها، من حديث أنس رضي الله عنه.

(3) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 9/16.

فهيجتتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها (1). وظلت أم أيمن تحظى بالمكانة الكبيرة في حياتها، وبعد موتها، وكذلك أحفادها الذين ينسبون إلى ولاء الرسول، فكان يقول لهم: بنو الحب.

وداعاً أيتها الرؤوم:

ومع وداع أم أيمن رضي الله عنها تعالوا نذكر فضيلة باهرة لها، وهي رواية الحديث؛ فقد روت عن النبي خمسة أحاديث، وروى عنها أنس بن مالك، وحش بن عبد الله الصنعاني، وأبو يزيد المدني.

وفاتها:

أما عن وفاة أم أيمن، فقال الذهبي وابن حجر رحمهما الله أنها توفيت بعد النبي بخمسة أشهر.

رضي الله عن أم أيمن من أهل الجنة، وجعلها في أصحاب اليمين.

ملامح شخصية أم أيمن:

1- الحنان والعطف والرحمة فقد كانت كذلك مع النبي وهو صغير رغم أنها لم تكن تعرف نبوته بعد.

وكذلك رقة قلبها عندما بكت لانقطاع الوحي من السماء - وأعتقد أن أحداً لم يفكر في هذا قبلها.

2- الفطرة السليمة التي جعلتها تسارع إلى الإسلام.

3- خفة الظل التي تبدو في مزاحها مع النبي ﷺ وأصحابه وهي تبدو لى شخصية بسيطة لطيفة مرحة.

4- الصبر والرضا بقضاء الله وأنا أتصور معاناتها من رق العبودية من قبل ثم جهادها بعد ذلك في ظل الإسلام.

خواطر وعبر:

1- الفطرة السليمة تجعل صاحبها يتفانى في تقديم المعروف بحب دون انتظار المقابل.

(1) رواه مسلم في صحيحه 4/ 1907، رقم (2454)، باب من فضل أم أيمن رضي الله عنها، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

- 2- البساطة واللطف في التعامل مع الآخرين سمة أصيلة فيمن تحلى بخلق الاسلام
- 3- التسليم لقضاء الله والرضا به ربًا وإلهاً يذلل عقبات الحياة.

الشفاء بنت
عبد الله
(الطبيبة النفسية)

الشفاء بنت عبد الله

(الطبيبة النفسية)

من هي؟

هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية، تكنى أم سليمان، وهي زوج أبي حثيمة بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي، ولدت له سليمان بن أبي حثيمة، وكان سليمان فاضلاً ديناً خيراً، له مكانة بين رجال الإسلام.

رخصة طبية نبوية:

الشفاء صحابية جليلة القدر، عرفت بالفضل، وجودة العقل والرأي، أسلمت قديماً مع السابقات الأول، فكتبت لها أسباب السعادة، وفازت بفضيلة السبق إلى الإيمان، كما فازت بالسبق إلى الهجرة، فكانت من المهاجرات الأول أيضاً، وبايعت النبي ﷺ مع من بايع من نساء الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

وكانت الشفاء رضي الله عنها إحدى النساء والقرشيات ممن يعرفن الكتابة والقراءة - وكن قليلات - ولهذا السبب فقد تربعت في عالم الشهرة بين قومها، وقادها هذا إلى معرفة بعض الأسرار في علم الطب والرّقية.

ولما أسفر الإسلام بنوره، رخص رسول الله ﷺ في الرّقية من الحمة والعين والنملة (1).

وكانت الشفاء ترقّي في الجاهلية، فلما أسلمت أضحت تهتدي بنور الإسلام، وأتت رسول الله ﷺ تستأذنه في متابعة عملها، فقد أورد ابن القيم - رحمه الله - إن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقّي من الجاهلية من النملة، فلما هاجرت إلى النبي - وكانت قد بايعته بمكة - قالت: يا رسول الله، إني كنت أرقّي في الجاهلية من النملة،

(1) النملة: وصفها الأطباء بأنها مرض جلدي من نوع الأكزيما، وقال ابن قتيبة رحمه الله: قروح تخرج في الجنب. وفي اللغة: النملة: داء معروف، وسمي نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كأنه نملة تدب عليه وتعضه، فالنملة شيء في الجسد كالقرح وجمعها تُمْل وتُقِل النمل والنملة قروح في الجنب وغيره. انظر: لسان العرب لابن منظور 11 / 678، مادة: (نمل).

وإني أريد أن أعرضها عليك، فعرضت عليه فقالت: بسم الله ضلت حتى تعود من أفواهما ولا تضر أحداً، اللهم اكشف البأس رب الناس (1).

للشفاء مكانة سامية في عالم الصحابييات؛ حيث كان لها مكانة خاصة عند رسول الله؛ وذلك لمؤهلات إيمانية كانت تتمتع بها. أسلمت الشفاء قبل الهجرة، فهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي، وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن.

كما كانت للشفاء منزلة عظمى عند أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- فكانت تدخل على أم المؤمنين حفصة، وتزورها في الأحياء والأوقات، وتعلمها الكتابة، وقد أمرها النبي أن تعلم حفصة زوجه رقية النملة والكتابة. وكان رسول الله يكرم الشفاء ويصلها، فقد أقطعها عليه الصلاة والسلام داراً بالمدينة، فنزلتها مع ابنها سليمان بن أبي حثيمة.

مواقفها مع عمر الفاروق:

للشفاء مكانة كريمة عند الفاروق، الذي كان يقتضي بذلك أثر الرسول، فكان يقدمها في الرأي، ويرضاها ويفضلها، وربما ولّاها شيئاً من أمر السوق.

1- أرسل عمر بن الخطاب إلى الشفاء بنت عبد الله العدوية: أن أغدي علي، قالت: فغدوت عليه، فوجدت عاتكة بنت أسيد بن العاص رضي الله عنه ببابه، فدخلنا فحدثنا ساعة، فدعا بنمط -ثوب- فأعطاها إياه، ودعا بنمط دونه فأعطانيه، قالت: فقلت: يا عمر! أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنت عمك دونها، وأرسلت إلي وأتتك من قبل نفسها، قال عمر: ما كنت رفعت ذلك إلا لك، فلما اجتمعتما تذكرت أنها أقرب إلي رسول الله.

2- رأت فتياً يقصدون في المشي، ويتكلمون رويداً فقالت: ما هذا؟ قالوا: نسّاك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشي أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله الناسك حقاً.

3- كان عمر عليه سحائب الرضوان يزور الشفاء، ويتفقد أحوالها، ويسأل عن زوجها وابنها سليمان، ويرشدهم جميعاً إلى ما فيه الخير إن اقتضت الحاجة

(1) انظر: زاد المعاد لابن القيم 4/ 169.

بذلك، تحدث الشفاء نفسها عن هذا فقالت: دخل عليّ بيتي عمر بن الخطاب، فوجد عندي رجلين نائمين.

فقال: وما شأن هذين، ما شهدا معنا الصلاة؟

قلت: يا أمير المؤمنين صليا مع الناس، وكان ذلك في رمضان، فلم يزالا يصليان حتى أصبحا وصليا الصبح وناما.

فقال عمر: لئن أصلي الصبح في جماعة أحب إلي من أن أصلي ليلة حتى أصبح. وهذا يدل على فقه سيدنا عمر رضي الله عنه، وعلى توجيهه اللطيف الذي يعتمد على أصول السنة النبوية الشريفة، والحض على حضور صلاة الجماعة.

الشفاء والحديث النبوي:

من الحسنات التي تضاف إلى سجل الصحابية الجليلة الشفاء أنها روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن عمر بن الخطاب.

وظلت الشفاء رضي الله عنها تتابع حياة العلم والعمل، والزهد والعبادة إلى إن لقيت ربها في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحو سنة 20 هجرية رضي الله عنه.

رضي الله عن الشفاء التي شفتنا بسيرتها الطيبة، ونحن في وداع سيرتها العطرة نقول: اللهم اكشف البأس رب الناس، والحمد لله أولاً وآخراً.

ملامح الشخصية:

- 1- امرأة عاقلة هادئة، لا يدعوها الغضب إلى التعدي أو عدم الإنصاف.
- 2- شغوفة بالعلم والمعرفة، وتوَجَّ الإسلام هذه الموهبة، وساعد القائد العظيم النبي صلى الله عليه وسلم على نموها واستخدامها لخدمة المجتمع.
- 3- مع كونها تحب العلم هي أيضاً اجتماعية ودودة، تحب الناس، وتشعر بأحاسيسهم؛ لذا تفوقت في مجال الطب النفسي (الرقية).
- 4- شخصية قيادية حازمة؛ لذا ولَّاهَا عمر رضي الله عنه شيئاً من إدارة السوق، وهو أمر يحتاج إلى قوة وحزم.
- 5- شخصية ذات صبر وتؤدّة، ولها القدرة على تعليم الغير.
- 6- شخصية حساسة مؤثرة موصولة بالله تعالى.

خواطر وعبر:

- 1- نبوغ المرأة في عهد الإسلام وشغلها المناصب القيادية يبطل ادّعاءات البعض بأن

الدين هو سبب تخلف المرأة بيد أن إهمال الدين هو السبب في كل تخلف وكل رجعية.

2 - اهتمام الإسلام بالعلم والطب.

فقد قال النبي ﷺ: (ماسئل الله شيئاً أحب إليه من العافية) ⁽¹⁾، وقد اشتهر عدد من الأطباء والطبيبات ممن عاصروا الإسلام، منهم الشفاء بنت عبد الله، وقد برعت في مجال الطب النفسي واشتهرت بالاسترقاء ⁽²⁾.

3 - اهتمام النبي ﷺ بمحو الأمية ولا فرق في ذلك بين رجل وامرأة.

* * *

(1) رواه الترمذي في سننه 5/ 552 رقم (3548)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب 2/ 192.

(2) هو نوع من المعالجة بالإيحاء والإيمان، يتفائل الناس به، وقد أجازته الإسلام ضمن شروط منها:

1 - أن يكون من كلام الله عز وجل.

2 - أن يكون من الدعاء إلى الله عز وجل.

درة بنت أبي

لهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(درة تلمع وسط الظلام)

درة بنت أبي لهب رضي الله عنها

(درة تلمع وسط الظلام)

من هي؟

هي درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب ابنة عم رسول الله ﷺ. نشأت هذه الصحابية الجليلة في ظروف عجيبة تجعل العقل مبهوراً مندهشاً من هذه الشخصية التي تبدو كالجوهرة في كومة مزبلة. دعونا نتعرف على أسرة-درة رضي الله عنها:

من أخبار أبي لهب:

هو أحد أعمام رسول الله ﷺ كان كثير الإيذاء له والبغض والتقص من دينه. كان لا يكف عن الأذى في أي مكان أو أي مناسبة. * روى الإمام أحمد عن أبي الزناد قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يأيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب (1).

ولما أجمع بنو هاشم بقيادة أبي طالب على حماية النبي ﷺ تلبية لدافع العصبية القبلية خرج أبو لهب على إخوته، وحالف عليهم قريشاً. وكان قد خطب بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم لولديه عتبة وعتبة قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما حتى يثقل كاهل محمد بهما.

نهايته:

أوردت المصادر أنه مات عقب غزوة بدر بعد أن سمع الأخبار بانتصار المسلمين، فقد أصابه الله بالعدسة (بشرة تخرج من البدن فتقتل) فمات بها، وأقام ثلاثة

(1) رواه أحمد في مسنده 492/3، من حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه.

أيام لم يُدفن حتى أُنْتِن، ثم إن ولده غسّله بالماء قذفاً من بعيد مخافة العدوى - ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضخوا عليه الحجارة.

هكذا أخذه الله أخذ عزيز مقتدر في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

أم جميل:

هـى أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان وزوج أبى لهب.
لقد كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده.
كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ فسمأها الله حمالة الحطب، وكان بيت
أبي لهب قريباً من بيت رسول الله ﷺ فكان الأذى أشد... وهكذا مضى أبو لهب
وزوجته يثيران حرباً شعواء على النبي ﷺ.
وقد شقي أب لهب وزوجته لتصديهما للنبي ﷺ وصدهما عن الإسلام، عندما
نزلت فيهما سورة تتلى إلى يوم القيامة «سورة المسد». وأن أم جميل لما سمعت ما
نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة
ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهر من الحجارة (أي مقدار ملء الكف)، فلما وقفت
عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر أين
صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه.
وأما عن أخويها فقد تابعا أبوهما وأمهما في تصديهما للنبي ﷺ فطلق عتبة رقية،
وطلق عتية أم كلثوم، وزاد على أن ذهب إلى رسول الله ﷺ وأسمعه ما يكره، فدعا
عليه النبي ﷺ فأكله سبع في البرية فخر الدنيا والآخرة.

درة تلمع وسط الظلام:

في هذا الجو الداكن الرهيب نشأت درة بنت أبي لهب، وكانت ترى تلك الأحداث الأليمة، غير أن عقلها كان يرفض ما يقوم به والداها.

وعلى الرغم من كل الضغوط التي كانت عليها وجدت الإسلام إلى قلبها سبيلاً ، فأسلمت بمكة، وأخرجها الله من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.

وقد هاجرت درة إلى المدينة المنورة فنالت أجر المهاجرات، وسجلت بذلك أعظم المواقف في تاريخ المرأة بتحديها كل الظروف.

وحتى الزوج!

كانت درة متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له

عقبة والوليد وأبا مسلم، وقتل زوجها يوم بدر وهو مشرك فخلف عليها دحية الكلبي
— ﷺ.

أغضب الله من أغضبك:

قدمت درة بنت أبي لهب مهاجرة، فنزلت دار رافع بن المعلى الأنصاري الزرقى، فقال
لها نسوة من بني زريق: أنت ابنة أبي لهب، الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا
أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ﴾ [المسد: 1، 2]، ما يغني عنك
مهاجرك؟؟!!!

قأت درة النبي ﷺ فشكت إليه ما قلن لها - وكانت متأثرة جداً - فسكنها رسول
الله ﷺ وقال: (اجلسي)، ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة ثم قال:
(أيها الناس، مالي أودى في أهلي؟ فوالله إن شفاعتي تنال قرابتي، حتى أن صداء
وحكم وحاء وسلهب ضللتها يوم القيامة)⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى تشير إلى مكانة درة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: (أغضب الله
من أغضبك).

أنت مني:

لم تكن درة رضي الله عنها بعيدة عن البيت النبوي الطاهر، فقد كانت تزور عائشة أم
المؤمنين رضي الله عنها، وتقتبس من علمها وفقهها، وكانت تسابق عائشة في خدمة الرسول
ﷺ، وفي إحدى زياراتها لأُمنا عائشة حظيت بمكرمة نبويه خاصة، روت درة رضي الله عنها خبر
هذه المكرمة فقالت: كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل النبي ﷺ فقال: (إيتوني بوضوء)
فابتدرت أنا وعائشة الكوز فبدرتها -سبقتها- فأخذته أنا فتوضأ، فرفع إلى عينه أو
بصره فقال: (أنت مني وأنا منك).

وفاتها:

ظلت درة رضي الله عنها تحتفظ بمكانتها، وتوفي النبي ﷺ وهو راض عنها، وامتدت بها
الحياة (20 سنة)، حيث توفيت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب -رضوان الله
عليه- بعد أن أثرت تاريخ المرأة بالمواقف العطرة.

(1) أخرجه الممتقى الهندي في كنز العمال (37630)، وأخرجه أيضاً: ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني
(470/5، رقم 3165)، والطبراني (24/259، رقم 660)..

خواطر وعبر:

- 1- بعد سماع قصة درة لم يعد لأي إنسان حجة في عدم اتباع الحق مهما كانت ظروفه.
- 2- إنها رسالة أيضًا إلى المرأة التي تتحجج أنها ضعيفة في مواجهة الحق، وأنها مغلوبة على أمرها نقول لها: كوني درة وسط الركام.
- 3- كل امرئ بما كسب رهين، فلا نأخذ أحدًا بجريرة غيره.
- 4- الصبر على انتفاش الباطل وكثرته أمر مطلوب مع دعاء الله بالتثبيت.
- 5- الأجر على قدر المشقة، وكلما عانى الإنسان في سبيل اتباع الحق كلما عرف قيمته وغلا ثمنه في نفسه وضحي بكل ما يملك في سبيل إعلاء كلمته.

هند بنت عتبة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(القيادية في

الجاهلية والإسلام)

هند بنت عتبة رضي الله عنها

(القيادية في الجاهلية والإسلام)

وجاء الحق:

عشرون عامًا لم يخشع قلبها لذكر الله وما نزل من الحق .
عشرون عامًا قضتها هذه المرأة في عداوة مفرطة لرسول الله ﷺ وللإسلام
والمسلمين لم تتوقف مرة خلالها عن إظهار العداوة كانت تجود بحليها وذهبها في
سبيل الصد عن سبيل الله، حتى إن رسول الله ﷺ إهدر دمها.
هذه المرأة نفسها فازت مع الفائزين وكان شركها نسيًا منسيًا.
هذه المرأة هي هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية، إحدى نساء العرب التي كان لهن
شهرة عالية قبل الإسلام وبعده وهي أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.
كانت هند زوجة للفاكه بن المغيرة أحد فتيان قريش، فعانت من سوء رأيه ما
حملها على فراقه، ثم خلف عليها أبو سفيان بن حرب فولدت له معاوية وعتبة.

هند قبل الإسلام:

مقتل الأحبة:

في غزوة بدر كان في جيش المشركين من أقرباء هند: أبوها وأخوها وعمها وأما في
جيش المسلمين فكان أخوها أبو حذيفة بن عتبة فأخذت هند تدمه وتشتمه.
وفي بدء المعركة قتل عتبة وأخيه وابنه، ثم أسفرت المعركة عن مقتل سبعين وأسر
سبعين، فكان ذلك حسارة للمشركين.

قالت نساء قريش لهند: ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟
فقالت: أنا أبكيهم، فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بنا.. لا والله لسوف أثار منهم.
ومكثت هند لا تقرب الدهن، ولا تقرب فراش أبي سفيان وتحرض الناس حتى
كانت وقعة أحد، وكان خلالها ترثي قتلاها في بدر.

وكان الثأري أحد:

قرر المشركون أخذ الثأر، وأصرت النسوة على أن يسرن مع الرجال في حين

عارض بعض فرسان قریش ورجالهم ذلك، ومنهم صفوان بن أمية، فصاحت هند بنت عتبة بمن يعترض خروج النساء.

وخرجت قريش مع نساءها، وعلى رأسهن هند وهي أشدهن على الثأر حرة
وكانت هند قد وعدت وحشيًا الحبشي العتق وذهبها وحليها إن هو قتل حمزة.

وفي المعركة جعلت النساء يمشين خلال صفوف الرجال يضربن الدفوف وعلى رأسهن هند، ودارت الدائرة على المشركين في بادئ الأمر وتمزقت قريش، وأوشك نسوتها أن يؤخذن أسرى ذليلاً.

هند وأبو دجانت:

وصفهبوا دجانة ما كان في المعركة قائلاً : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً، فلما حملت عليه السيف ولي، فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وكانت تلك المرأة هي هند بنت عتبة

مقتل حمزة:

شغل بعض المسلمين بجمع الغنائم وخالف الرماة أمر رسول الله ﷺ فتبدل وجه المعركة، وانتهز المشركون هذه الفرصة، وانقضوا على المسلمين وكثر القتل، وقتل حمزة غدرًا بيد وحشي، فقد كان يترصد به ولم يكن له هدف في هذه المعركة سواء. كانت هند من أشد الناس سرورًا فلم يكفها قتل حمزة؛ بل وانطلقت هي والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من المسلمين أبشع تمثيل وأشنع فعلة مما جعل زوجها أبو سفيان يراً من تبعتها.

ثم علت هند على صخرة في المعركة فصرخت بأعلى صوتها لتبدي الشماتة في المسلمين.

قصتہ اسلامہا:

ها هو الحبيب ﷺ يدخل مكة فاتحًا منتصرًا... فلما مر بأبي سفيان قال له العباس:
النجاء إلى قومك فأسرع أبو سفيان حتى دخل مكة وصرخ بأعلى صوته: يا معشر
قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.
فقامت إليه زوجته هند فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأخمش
الساقين، قبح من طليعة قوم، فكانت تعارض المسلمين إلى آخر وقت حتى شرح الله

صدرها للإسلام بعد عداوة دامت عشرين عامًا، وإذا بها تقول لزوجها أبي سفيان: إنما أريد أن أتبع محمدًا.

وعن عائشة قالت: جاءت هند إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! والله ما كان علي ظهر الأرض أهل خباء (يعبر به عن مسكن الرجل وداره) أحب إلي من أن يذلهم الله من أهل خبائك. وما علي ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزهم الله من أهل خبائك. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده!

(ومعنى قول النبي ﷺ أنها ستزيد إيمانًا، ويزيد حبها لله ورسوله ويقوى رجوعها إلى بغضه).

البيعة:

روي أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا، وعمر قاعد أسفل منه يبائعهن بأمره، ويبلغهن عنه فجاءت هند متكرة خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة، فقال رسول الله ﷺ (أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا)..... (ولا تسرقن)، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن إنا أصبت من ماله هنات؟ فقال أبو سفيان: وما أصبت فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال: وإنك لهند؟ قالت: نعم، فاعفُ عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك.

فقال: ولا يزينين، فقالت: أوتزني الحرة؟! فقال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلتوهم كبارًا، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل في بدر، فضحك عمر حتى استلقى؛ فتبسم رسول الله ﷺ.

فقال: ولا يأتين ببهتان، فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ولا يعصينك في معروف، فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك.

هند ومعاوية ؓ :

فطمت هند ابنها معاوية على حب الفضائل وعلى الشهامة والحزم والأنفة، وقد وصفته وهي تهدده وهو صغير فقالت:

إن ابني معرق كريم	***	محبب في أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم	***	ولا بطخور ولا لئيم
صخر بني فهر به زعيم	***	لا يخلف الظن ولا يخيم

وجهت هذه الطاقة التوجيه السليم إلا بعد إسلامها.
بعض نساء العصر يستعملن طاقاتهم في سفاسف الأمور، وتنأى كل منهن بقدراتها ومواهبها عن المشاركة الفعالة في المجتمع، وهذا هو سبب تخلف المرأة في العصر الحديث.

4- حسن البيان وفصاحة اللسان

فقد كانت تقول الشعر الجيد وأكثر ما عرف عن شعرها في رثاء أبيها وعمها وأخيها.

5- قوة العزيمة

فعندما تنوي أمراً تصر على تنفيذه ولو طال الزمن، وقد فعلت هذا في الجاهلية عند الثأر لأهلها، ثم ظهر واضحاً في معركة اليرموك.

6- بعد النظرفي تحديد الهدف

فهي تضع دائماً أهدافاً طموحة وفي تربيته لابنها الأسوة الحسنة.
فقاد معاوية الأمة خير قيادة، وكان عهده عهد نهضة وحضارة.

7- المروءة.

وكان ذلك في الجاهلية والإسلام على السواء، وكان لها هذا الموقف في الجاهلية مع بنت رسول الله ﷺ رغم ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من عداوة - لما علمت بعزم زينب بنت رسول الله ﷺ على الهجرة إلى المدينة ذهبت إليها في هدأة من الليل، وعرضت عليها مساعدتها كابنة عم تحفظ عهد القرابة، وأظهرت لها كل مروءة وقالت: يابنة محمد بلغني عزمك على الرحيل، فحاولت زينب أن تخفى خبر هجرتها عن هند.

فقال لها هند: لا تكذبيني، فإن ما بين الرجال لا يتعداهم إلى النساء (أي ما بين الرجال من العداوة القائمة لا شأن لنا بها نحن النساء)، فإن أحوجك معونة من مال أو عمل فإن أولى بإسعادك ابنة عمك - تريد نفسها.

ولما علمت هند أن قريشاً عرضوا لزينب في هجرتها.. خرجت إليهم تؤنبهم على عملهم الشائن وتهجوهم.

وكم تحتاج نساء العصر للإفادة من مثل هذه المواقف.

خواتر وعبر:

1- العبرة بالخواتيم

فلا يتسرع أحدنا في الحكم على الناس بوصفهم من أهل النار إذا رأيناهم يحيدون
عن جادة الصواب.

2- صبر الداعية على الناس إلى أبعد الحدود إلى أن يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، ولولا صبر النبي على هند ما كانت لتهدى إلى الحق.

3- باب التوبة مفتوح لكل ذي عقل ورشد ، فليسارع قبل فوات الأوان.

4- الغل صفة جبل عليها الإنسان وجزء من فطرته وتعاليم الإسلام تقوم بتهذيبها والإيمان له دور كبير في سكينة النفس من خطر هذا الغل.

ومن الضوابط التي يرسمها الإسلام في ذلك:

أ- ألا يتوجه هذا الغل للمؤمنين.

فلا غل مع الأهل والمجتمع؛ إنما يوجه فقط إلى أعداء الله وإلى كل ظالم ليرده عن ظلمه.

(...ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا..)

ب- ضبط النفس في تنفيس الغضب.

(وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. ولئن صبرتم لهو خير للصابرين).

وقد رأينا كيف وجهت هند انفعالاتها بعد الإسلام.

5- إذكاء روح المروءة عند نساء العصر أمر لا بد منه.

6- مشاركة المرأة في حمل هموم بلدها أمر ضروري ومطلوب الآن أكثر من ذي قبل.

7- رسم الهدف للأبناء أثناء تربيتهم عامل رئيسي في نجاح التربية قد أدركته هند قبل 1400 عامًا.

صفية

بنت حيي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

صفية بنت حيي رضي الله عنها

من هي؟

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة..... بن النضير بن النحام بن تحوم، من بني إسرائيل وسبط (هارون بن عمران).
أمها (برة بنت سموأل).

قال ابن زبالة في «المنتخب»: إن اسم صفية رضي الله عنها هو: حبيبة، ولكنها سميت صفية؛ لأنها كانت صفية رسول الله ﷺ يوم خيبر، وكانت كنيته (أم يحيى).

نشأتها:

تروي لنا صفية رضي الله عنها: أنها ما رأت في طفولتها من حقد أبيها وقومها على الإسلام وعلى النبي ﷺ عندما قدم إلى المدينة.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: «كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه».

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف إذا عليه أبي (حيي بن أخطب) وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين⁽¹⁾، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويني⁽²⁾ قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟؟ قال: نعم والله.. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

(1) أي في ظلمة الليل.

(2) مشية فيها فتور وضعف.

رحيل من المدينة:

ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قيقاع؟، وبنو النضير، وبنو قريظة.

كانت صفية وأبوها حيي بن أخطب من بنى النضير، وكان أبوها من زعماء القبيلة وكبرائها.

وقد نقض اليهود عهدهم مع النبي ﷺ، وحاول بنو النضير قتل النبي ﷺ وهو مستند إلى جدار حائط من بيوتهم؛ فلما ذهب أحدهم عازماً على أن يلقي على رسول الله ﷺ صخرة من فوق الجدار؛ أخبره جبريل بذلك، وقام من توّه ثم بعث إلى بني النضير يأمرهم بالخروج من المدينة، ولكنهم تمنعوا، وبعث رئيسهم حيي بن أخطب لرسول الله ﷺ يقول: (إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك).

فأدى ذلك إلى أن فرض المسلمون عليهم الحصار حتى أجلوهم عن المدينة.

* وكان من أشرافهم الذين ساروا إلى خيبر: (سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، فلما نزلوها دان لهم أهلها).

في خيبر:

فكانت صفية من يهود خيبر، وكان أبوها سيدهم المطاع، فعاشت معهم في رغد ونعيم. ولما اشتد عودها كان أشراف القوم يطمعون في الزواج منها، فتزوجها سلام ابن أبي حقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبي حقيق، (وكانا من شعراء اليهود).

مقتل حيي بن أخطب:

نقضت بنو قريظة عهدها مع رسول الله ﷺ، وناصرهم حيي بن أخطب، وكان ممن يؤلب القبائل العربية واليهودية على محاربة الإسلام ونيه ﷺ، وهو الذي أقنع بني قريظة بضرورة نقض العهد، وهزمت بنو قريظة، وحكم على رجالهم بالقتل لخيانتهم.

فلما أقبلت بنو قريظةأتي به - أي حيي بن أخطب - مكتوفاً بعد، فقال حيي للنبي ﷺ: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذله، فأمر به النبي ﷺ وضربت عنقه... ثم إنه أقبل على الناس قبل تنفيذ حكم الإعدام، وقال لهم: أيها الناس.. إنه لا بأس بأمر الله.. كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

وفي السيرة النبوية أيضًا: لقد تجلد حيي، وتقدم لتضرب عنقه حتى لا يشمت فيه شامت، وهو يعرف أنه على باطل، ظالم لنفسه... ومع هذا يموت على ذلك، والعزة بالإثم تأخذه إلى جهنم وبئس المصير.

كما أن عداوة حيي للرسول ﷺ باعثها الحسد والحقد.

* لقد اعترف أبو صفية بأن الله قد خذله بمقولته هذه قبل موته، واعترف أيضًا أنه لم يكن مع الله، وإنما كان مع الشيطان.

زواج صفية من رسول الله ﷺ:

توجه النبي ﷺ إلى خير في العام السابع الهجري، وكانت لهم حصون منيعة لا يقدر على اقتحامها جيش إلا بجهد جهيد وسلاح عتيد.

وتم نصر المسلمين على خير وجه، وأحرزوا الكثير والكثير من أموال اليهود، وسبوا الكثير والكثير من النساء والزراري.

* وكانت صفية بنت حيي من السبايا، جاء بها بلال بن رباح من حصن أبي الحقيق ومعها بنت عم لها، فمر بهما على القتلى وقد تناثرت أشلاؤهم هنا وهناك، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صاحت صياحًا شديدًا، ولطمت وجهها، وحث التراب على رأسها، وفعلت بنفسها الأفاعيل، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أغربوا عني هذه الشيطانة» فأبعدوها عن ساحته.

وأما صفية فقد كانت تتميز برباطة الجأش، فلم تفعل مثلما فعلت صاحبته، بل تماسكت وكظمت غيظها... فعرف الرسول قدرها فرضيها لنفسه.

وقد عاتب النبي ﷺ بلاً على ما فعله بهاتين المرأتين فقال: «يا بلال، أنزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما!!»⁽¹⁾.

وقد حاز النبي ﷺ صفية لنفسه تكريماً لها؛ فهي سيدة قومها وبنت سيدهم، فإكرامها نخوة عربية... وقد أبصر فيها سماحة تدعوها إلى الإسلام، ورأى في وجهها وجاهة تدل على سلامة قلبها وحسن استقبالها لهذا الدين القيم⁽²⁾.

(1) تاريخ الطبري 2 / 302.

(2) مؤمنات لهن عند الله شأن، دكتور محمد بكر إسماعيل.

بعينيك؟ قالت: قلت لزوجي: إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع في حجري فلطمني، وقال: أتريدين ملك يشرب.

قالت: وما كان أبغض إليّ من رسول الله ﷺ؛ قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إليّ وقال: «يا صفية، إن أباك ألب عليّ العرب وفعل وفعل» حتى ذهب ذلك من نفسي (1).

* كان زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق صاحب حصن القموص، أعظم حصن في خيبر، وقد اقتحم المسلمون الحصن بعد نضال عسير، وجيء بكنانة حياً، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله النبي ﷺ عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه، فقال ﷺ: أرايت إن وجدناه عندك أأقتلك؟ قال: نعم.

فلما اكتشف مخبأ الكنز عنده دفعه النبي ﷺ إلى محمد بن سلمه فضرب عنقه.

* بذلك يكون قد اقتص الله تعالى منه ما فعله بصفية رضي الله عنها.

صفية في بيت النبوة:

عادت صفية رضي الله عنها مع النبي ﷺ إلى المدينة بعد أن بنى بها في الطريق، وكانت في قمة السعادة؛ لأنها ستكون واحدة من أمهات المؤمنين.

* عن آمنة بنت قيس العقارية قالت: أنا إحدى النساء اللاتي زفن صفية يوم دخلت على رسول الله ﷺ، فسمعتها تقول: ما بلغت سبعة عشر سنة يوم دخلت على رسول الله ﷺ (2).

الكريمة صاحبة القلب الرقيق:

ولما انتقلت صفية رضي الله عنها إلى دور النبي ﷺ كانت تحمل كل الخير لأخواتها (أمهات المؤمنين)، فقد بدأت بتقديم الهدايا لهن؛ ولكنها بدأت بريحانة رسول الله ﷺ ابنته فاطمة، فقدمت لها هدية غالية.

* عن ابن المسيب قال: قدمت صفية وفي أذنيها خرصة من ذهب، فوهبت لفاطمة منه ولنساء معها (3).

(1) رواه الطبري، وصححه الألباني.

(2) صحاحيات حول الرسول، محمود المصري.

(3) رواه بن سعد، وقال رجاله ثقات.

*ولكن صافية مع ذلك كانت تشعر بغربة شديدة؛ لأن أزواج النبي ﷺ لا يستطيعون أن ينسبون أصلها، وأنها كانت في يوم من الأيام يهودية، ولكن الله أعزها وأكرمها بنعمة الإسلام.

* عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لى حفصة أنى بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيمَ تفخر عليك؟ ثم قال: اتقى الله يا حفصة (1).

* وفي رواية أخرى: قال لها رسول الله ﷺ: ألا قلت لهما (أى عائشة وحفصة): كيف تكونان خيرًا مني وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد؟

* وحدث شيء قريب من ذلك من زينب بنت جحش رضي الله عنها، فغضب النبي ﷺ لذلك.

* عن صفية بنت حيي: أن النبي ﷺ حج بنسائه، فبرك بصفية جملها، فبكت، وجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه فجعل يمسح دموعها بيده وهي تبكي، وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس، فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش: أفقري أختك جملاً - وكانت أكثرهن ظهراً - فقالت: انا أفقر يهوديتك!

فغضب رسول الله ﷺ، فلم يكلمها حتى رجع إلى المدينة ومحرم وصفر⁽²⁾.

مكانة صفية عند النبي ﷺ:

ها هو موقف عظيم يوضح مكانة صفية في قلب النبي ﷺ:

* عن صفية بنت حيي قالت: كان النبي ﷺ متكفًا، فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقبني - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: (على رسلكما، إنها صفية بنت حيي)، فقالا: سبحان الله... يا رسول الله! قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا أو قال «شيئًا» (3).

(1) رواه أحمد والترمذی.

(2) أخرجه أحمد في المسند..

(3) رواہ مسلم.

صفية الصافية:

وجد العديد من المواقف التي تدل على عقل صفية وحلمها وصفاء قلبها من هذه المواقف:

- كانت صفية تجيد صنع الطعام؛ لأنها كانت من قوم يعدون في بيوتهم الموائد الشهية ذات الأصناف المتعددة؛ فصنعت يوماً طعاماً للنبي ﷺ، فما أن مد يده إليه حتى أخذت الغيرة عائشة رضي الله عنها فأمسكت الإناء فكسرت به ما فيه، فلما رأت عائشة سوء صنعها وتحلم النبي ﷺ عليها راجعت نفسها، واعتذرت عما بدر عنها للرسول ﷺ ولصفية رضي الله عنها، وقالت: يا رسول الله ما كفارة ما صنعت؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (إناء مثل إناء وطعام مثل طعام) (1).

- عن زيد بن أسلم: أن نبي الله في وجعه الذي توفي فيه قالت صفية بنت حيي: والله يا نبي الله، لوددت أن الذي بك بي، فغمزها أزواجه فأبصرهن فقال: «مضمضن»، قلن: من أي شيء؟ قال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة (2).

ومن هنا كانت أم المؤمنين صفية ذات سريرة صافية وعلانية نقية، فقد أحبت رسول الله ﷺ وصدقت في حبها لله عز وجل، فجاءت تصرفاتها نابعة من معين الصدق والوفاء، وشهد لها النبي ﷺ بالصدق.

- وها هو موقف آخر يدل على صفاء النفس «قال أبو عمر بن عبد البر: روي أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقال: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبي فأنتي حرة» (3).

لقد كانت رضي الله عنها تستطيع أن تنتقم لنفسها، ولكنها تعلمت العفو عند المقدرة من صاحب الخلق العظيم محمد ﷺ.

(1) رواه أبو داود والنسائي.

(2) أخرجه بن سعد ورجاله ثقات ولكنه مرسل.

(3) الاستيعاب.

دورها في السياسة:

وقد أسهمت صفية رضي الله عنها بجهد متواضع جدًا في السياسة، راضية أو كارهة بحكم أنها من أمهات المؤمنين.

* روى ابن سعد في الطبقات عن مولاها كنانة أنه قال: قدمت صفية في حجابها على بغلة؛ لترد عن عثمان، فلقينا الأشر⁽¹⁾، فضرب وجه البغلة وهو لا يعرف راكبتها، فقالت لي: ردني ولا تفضحنى، ثم وضعت معبراً بين منزلها ومنزل عثمان، فكانت تنقل إليه الطعام والماء وهو ﷺ في محفة الحصار.

* لقد وصفها ابن الأثير والنووي بقولهما: كانت عاقلة من عقلاء النساء، وأثنى عليها ابن كثير فقال: كانت من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة وبراً وصدقة، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وأرضاهَا.

عبادتها:

كانت صفية رضي الله عنها تجتهد في طاعة الله عز وجل لتستدرك ما فات من عمرها؛ فقد كانت تتمنى أنه لو كانت أسلمت مع أول لحظة بعث فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم (2).

*كان حب صفية لرسول الله ﷺ يزيد لها تعلقاً بالقرآن وشغفاً بحديثه، فراحت تنهل منهما وتستزيد، فروت عدة أحاديث قيل: إنها بلغت العشرة.

* أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء قال: عن عبد الله بن عبيدة: أن نفرًا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حيي زوج النبي، فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا، فنادتهم صفية: هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء؟

* ووصفها أبو نعيم في ترجمته لها فقال: التقية الزاكية ذات العين الباكية (صفية) الصافية زوجة النبي ﷺ.

ولم تكتفِ صفية رضي الله عنها بتعلم القرآن وحديث رسول الله ﷺ؛ بل تعدت ذلك إلى تعليمها للناس، س وزرع حبهما في نفوسهم، ودعتهم إلى التدبر والخشوع، وحثتهم على الحفظ ما استطاعوا، ولئن كان ذلك منها في حياة حبيبها وأسرتها رسول الله ﷺ فإن ذلك قد زاد منها بعده لتملاً فراغها وتشغل وقتها.

(1) هو مالك بن الحارث النخعي، كان على رأس أهل الكوفة الذين تولوا الفتنة أيام عثمان رضي الله عنه.

(2) صحابیات حول الرسول..

ولم تنس فضل الصدقة وما تعود به على صاحبها من الخير، فكانت تحث الناس عليها وتكثر من اللذوالإنفاق ما وجدت إلى ذلك سبيلاً .
وفي شهر رمضان من سنة خمسين وافتها المنية، وكانت مقبرة البقيع مستقرها رحمة الله تعالى عليها.

خواطر وعبر:

(1) من العجيب أن نجد إحدى أمهات المؤمنين من أصل يهودي، وهذا الأمر لا بد أن يكون له مغزاه، ويمكن أن نستنتج بعض المعاني من ذلك:
- أن الإسلام جاء للناس أجمعين، ولا يعادي إلا من عاداه.

- أن عداوتنا لليهود تنتج من شرهم وأفعالهم لا من نسبهم؛ فلقد أخذ النبي ﷺ يرسخ في أمهات المؤمنين هذه القيمة في العديد من المواقف، فها هو ينهى عائشة عن اتهام صفية بنت حيي بأنها يهودية، وها هو يهجر زوجته زينب بنت جحش من أجل نفس السبب.

فالميزان الوحيد الذي يوزن به البشر في الإسلام هو التقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

- أن اليهود على قدر عداوتهم وبغضهم للمسلمين إلا أن فيهم فئة قليلة مؤمنة، وقد آمن بعضهم، وأشار القرآن إلى ذلك في سورة آل عمران عندما قال:
﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتُرُونَ بِكَائِنَتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199].

فإن وجود أمًا للمؤمنين لنا من أمة اليهود لخير دليل على ذلك.

(2) إن الصفات الشخصية للسيدة صفية رضي الله عنها صفات مبهرة رغم أنها نشأت وسط الأحقاد، إلا أن قلبها يفيض بالصفاء والنقاء، وفي المواقف التي ذكر منها أكبر دليل على هذا.

(3) في الحديث الذي جاء مع صفية وقال النبي فيه للشابين على رسلكما إنها صفية» دليل على مكانة صفية رضي الله عنها، وأن النبي ﷺ لا يريد أن يضعها موضع شبهة، وفي

ذلك عبرة لكل زوج في أن يحافظ على وضع زوجته وصورتها أمام الناس وكذلك فيه معنى آخر:

وهو أن اسم المرأة ليس بعورة في الإسلام كما يظن بعض الناس ذلك فيكنى عن زوجته، وأعتقد أن في هذا احتراماً لذاتية المرأة واحترامها.

(4) إن صغر سن صفية رضي الله عنها عند الزواج من النبي ﷺ (17 سنة) وكانت قد تزوجت اثنين من قبل.. هذا يدل على أنها أوتيت عقلاً وحكمة مبكرين.

وإن المواقف التي مرت بصفية وانقلاب حياتها وتحويلها هذا التحول الشديد والسريع قد زاد - في اعتقادي - عمرها أعماراً، وأثقل شخصيتها وزادها حكمة وتؤدة وحلماً.

(5) موقفها عندما كسرت لها السيدة عائشة الطبق.. موقف عظيم يدل على شدة الحلم؛ فنحن لم نسمع بم ردت عليها صفية رضي الله عنها، ولو كانت ردت لذكر الحديث ذلك، ولو ردت لكان معها كل الحق.

(6) إن صلتها بأهلها بعد إسلامها وبرّها لهم لأكبر دليل على أنها تحمل قلباً كبيراً هفوفاً عطوفاً، ومشاعر تموج كموج البحر في طهارته ومقاومته لكل نجس.

أم إبراهيم مارية القبطية

أم إبراهيم... مارية القبطية⁽¹⁾

مارية القبطية فتاة مصرية، من قرية يقال لها: حفن، في ضاحية يقال لها: أنصنا الواقعة على الضفة الشرقية للنيل تجاه الأشمونين.

ولدت مارية لأب قبطي يقال له: شمعون، ولأم مسيحية رومية.

عاشت طفولتها في هذه القرية هي وأختها سيرين، ثم انتقلتا إلى قصر المقوقس عظيم القبط بالإسكندرية.

والمقوقس كان واليًا من قبل ملك الروم، وهم قوم يدينون بالمسيحية، ولديهم علم ببعثة محمد ﷺ؛ فهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من خلال هذين الكتابين؛ فأوصافه كلها مذكورة لا يخفى عليهم منها شيء. وكان أهل مصر يسمعون من الأحبار والرهبان أن هناك نبياً بمكة قد حانت بعثته. وكانت مارية بنت شمعون، وأختها سيرين يسمعان بعض ما يقال عن هذا النبي عليه الصلاة والسلام، ولكنهما لا يلتقيان بالآ إلى ما يسمعان عنه؛ لشغلها بخدمة القصر ومن فيه.

وقد كان النبي ﷺ بعد فتح خيبر يرسل رسله إلى البلاد الواقعة في شبه الجزيرة العربية وغيرها، ومعهم كتب منه يدعوهم فيها إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان ممن أرسل إليهم المقوقس والي مصر؛ فقد بعث إليه حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل عليه أدى إليه كتاب النبي ﷺ، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى..

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط..

(1) كتاب مؤمنات لهن عند الله شأن محمد بكر اسماعيل.

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿[آل عمران:64].

فلما قرأه المقوقس طواه في عناية وتوقير، ووضعه في حق من عاج، ودفعه إلى إحدى جواريه لتحفظه.

ثم التفت إلى حاطب يسأله أن يحدثه عن النبي ﷺ وأن يصفه له، فلما فعل، فكر المقوقس ملياً، ثم قال لحاطب: قد كنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وهناك كان مخرج الأنبياء، فأراه قد خرج من أرض العرب، ولكن القبط لا تطاوعني؛ وضمن بملكه أن يفارقه، ثم دعا بكاتبه فأملئ عليه رده وفيه:

أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وكسوة، ومطية لتركبها، والسلام عليك.

ثم دفع هذا الكتاب إلى حاطب، واعتذر إليه بما يعلم من تمسك القبط بدينهم، وأوصاه بأن يكتم ما دار بينهما، فلا يسمع القبط منه حرفاً واحداً.

وانطلق حاطب عائداً إلى النبي ومعه مارية وأختها سيرين، وعبد خصي، وألف مثقال ذهباً، وعشرون ثوباً لينا من نسيج مصر، وبغلة شهباء «لدل» وجانب من غسل بنها، وبعض العود والند والمسك.

وفي الطريق إلى المدينة عرض حاطب على مارية وأختها الإسلام بعد أن حدثهما عنه طويلاً ، وأهلما من نفسه مثلاً للمسلم الكريم الحليم الودود الرشيد، الذي يصون الحرمات، ويغض بصره عن المحرمات، ويحفظ الأمانة ويصون الأعراض. والمرأة لا يخفى عليها أطباع الرجال أو صاف الرجولة فيهم؛ فعرفته رجلاً قد زانه طبعه وتطبعه بالإسلام؛ فشعرت هي وأختها أنهما قادمتان إلى أرض طيبة، وإلى أهل بيت طيب، يزينه صاحبه بخلق فاضل وكمال وافر؛ فاطمأنت هي وأختها لهذا المستقبل الذي ينتظرهما بالمدينة المنورة، واشتاقت كل منهما إلى العيش الهنيء الخالي من ذل العبودية، وإلى الحياة الهائلة الودیعة البعيدة عن صخب القصور وظلم الحكام وأتباعهم.

وأخذ حاطب بن أبي بلتعة يعلمهما أحكام الطهارة والصلاة وغيرها مما ينبغي على من أسلم أن يتعلمه؛ حتى انتهى بهما إلى المدينة فدخلها في سنة سبع من الهجرة، وقد عاد النبي ﷺ من الحديبية بعد أن عقد الهدنة مع قريش؛ فسلم إليه حاطب الأمانة؛ فتقبلها بقبول حسن، لكن ساءه أن المقوقس لم يسلم؛ فسلم أمره إلى الله تعالى، ووكله إلى قدره، وما عليه إلا البلاغ.

فأمسك مارية لنفسه، ووهب أختها لحسان بن ثابت.

وأُنزل مارية منزلاً لحارثة بن النعمان الأنصاري قرب المسجد، وضرب عليها الحجاب كأمهات المؤمنين.

وبدأت مارية ﷺ تمارس حياتها الجديدة مع خير خلق الله ﷺ وفي صحبة أمهات المؤمنين، وفي وسط هذا المجتمع المسلم التقى النقي المتآخي، القائم في جميع شئونه على العدل والفضل والتعاون البناء على البر والتقوى؛ فسعدت بهذه الحياة أيما سعادة؛ وأدركت الفرق الشاسع بين هذا المجتمع والمجتمع الذي كانت تعيش فيه من قبل.

إنها كانت تحيا حياة بلا دين وبلا هدف، كانت مجرد جارية تعيش في قصر يعج بالجواري، ليس لها وضع تعز به، ولا عمل تستريح له، ولا مكان تستقر فيه على النحو الذي ترضاه.

كانت تعيش في نظام يقوم على التحكم والتسلط والغطرسة، فجاءت إلى بيت كريم وسط قوم كرام في كنف نبي مرسل، وفي ظل دين قيم؛ يسوي بين الناس جميعاً، ويعطي كل ذي حق حقه، في جو يسوده الحب والوفاء، وفي بيت بسيط يخلو من المظاهر الخداعة التي لا تستقر على حال.

لقد كانت ﷺ تتلقى العلم من رسول الله ﷺ تزداد به فضلاً ونبلاً، وتصحح به ما كانت قد عرفت من الكتب الدينية التي ألّفها أحبار اليهود وعلماء بني إسرائيل؛ فقد كانت في شك من بعض ما جاء فيها؛ لعدم مطابقتها للعقل والواقع.

وكان النبي ﷺ لا يضمن عليها بشيء سألته عنه، أو استفتته في حكمه.

وقد أعانها عقلها الرشيد وذكاؤها الفذ على تحصيل ما قد سمعت، وإدراك ما قد رأت؛ حتى غبطتها نساء الأنصار.

جعدة؛ فأعجب بها رسول الله ﷺ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان الأنصاري؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامة الليل والنهار عندها، فجزعت فحولها إلى العالئ، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا.

وزادت في رواية: «ثم رزقها الله الولد وحرماه منه».

وسعد الأبوان بهذا الغلام الميمون ردحاً من الزمن لم يطل، وتلك مشيئة الله عز وجل؛ فقد مرض الغلام بعد سبعة عشر شهراً من ولادته، واشتد مرضه؛ فالتفت حوله أمه وأختها تمرضانه وأنفاسه تنقطع، فجاء رسول الله ﷺ وهو يجود بأنفاسه؛ فنظر إليه نظرة الوداع وعيناه تذرفان؛ فتعجب عبد الرحمن بن عوف من بكائه، فقال: أأنت تبكي يا رسول الله؟! أي: كيف بنا نحن؛ فقال «يا عبد الرحمن، إنها رحمة».

فلما مات الغلام بكى أشد من بكائه الأول، وقال: «إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وقد كانت وفاته في العاشر من شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة على الراجح، وانحنى النبي ﷺ على جثمان ولده يقبله، وهو يقول: «يا إبراهيم، لو لا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنًا عليك حزنًا هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

وأقبل الفضل بن العباس عليه السلام؛ فغسل الصغير الميت، والرسول ﷺ جالس يرنو إليه في حزن. وحمل من بيت ظئره على سرير صغير، وصلى عليه أبوه عليه الصلاة والسلام وكبر أربعاً، ثم سار وراءه إلى البقيع، وأضجعه بيده في قبره، ثم سوى عليه التراب ونداه بالماء.

وآب المشيعون واجمين، وقد غام الأفق وانكسفت الشمس، فقال قائلون: «إنها انكسفت لموت إبراهيم».

وبلغت الكلمة مسمع النبي ﷺ فصلى بالناس صلاة الكسوف، وخطبهم، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا»⁽¹⁾.

(1) البخاري في صحيحه (997)، باب الصدقة في الكسوف، ومسلم (901)، باب صلاة الكسوف، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وحسبها شرفاً أنها كانت في كنف رسول الله ﷺ، تمتعت بقربه وحبّه، وانضمت لحرمه، وكانت أمّاً لولده، أعطته من حبها مثل ما أعطهاها، ووفت بعهداها معه كأعظم ما يكون الوفاء، فلم يجد منها إلا ما يسره.

بل إنها ﷺ قد كانت مثلاً صادقاً لأهل مصر في حلمهم وكرمهم، ونبيل أخلاقهم وحسن معاشرتهم؛ فلقد أحبهم الرسول ﷺ لحب جده إبراهيم لهم؛ إذ كانت هاجر منهم، وأحبها لأنها أختها في الإسلام، وأختها في الوطن.

ولهذا أوصى النبي ﷺ بأهل مصر خيراً حين بشرهم بفتحها.

روى مسلم في صحيحه في كتاب «الفضائل» عن أبي ذر الغفاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستفتحون مصر - وهي أرض يسمي فيها القيراط - فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحماً». أو قال: «ذمة وصهرًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها قال: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجت منها» (1).

والمراد بالذمة: الحق والحرمة، والرحم: هو الصلة القريبة من جهة الأم أو من جهة الأب أيضاً، والصهر: القرابة من جهة الأم، والنسب: القرابة من جهة الأب.

والنسب: من جهة هاجر أم إسماعيل ﷺ، جد العرب العدنانية.

والصهر: من جهة مارية القبطية أم إبراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد وعى المسلمون هذا الدرس، وحفظوا هذه الوصية وسجلوها في كتبهم وسجلاتهم التاريخية.

ولما فتحت مصر سنة عشرين في عصر عمر بن الخطاب ﷺ ذكر عمرو بن العاص هذه الوصية بنصها في مفاوضات الصلح بينه وبين مندوبي المقوقس والي مصر من قبل الروم، فقال فيما قال: «لقد أعلمنا نبينا ﷺ أنا مفتحوكم، وأوصانا بكم؛ حفظاً لرحمنا فيكم، وإن لكم إن أجبتونا ذمة إلى ذمة.

ومما عهد إلينا أمير المؤمنين: استوصوا بالقبطيين خيراً؛ فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً؛ لأن لهم رحماً وصهرًا.

(1) رواه مسلم في صحيحه (2543)، باب وصية النبي ﷺ، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ.

رضي الله عن مارية بنت شمعون وأختها سيرين، وعلى كل من كان على الهدى من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وسلام على عباده الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين.

2- وأما من لم يسلم بعد الفتح من الأقباط فقد ظلت علاقته بالمسلمين علاقة طيبة، فالتآلف بين المصريين جميعًا له جذور تاريخية عميقة بسبب طبيعة اللين والمودة ونبذ العنف عند المصريين.

4- تظهر شخصية المرأة المصرية الأصيلة في أمنا مارية عليها السلام، حيث إنها كانت إلفاً ألوف، تكيفت مع جو المدينة وتآلفت مع أهلها، وسار بينها وبين أهلها روح الإخاء والعشرة.

6- وجه التشابه الكبير بين هاجر المصرية ومارية القبطية يوحى بوحدة الأمة وارتباطها جيلاً بعد جيل، وإن اختلفت البقاع فالدين هو الرباط المتين الذي يربط الأجيال ويربط الأمصار على السواء.

المراجع

- 1- أزواج الأنبياء محمد راجي حسن كناس
- 2- القرآن الكريم كتاب الله عز وجل
- 3- السيرة النبوية الصلابي
- 4- الصفوة في خيار النسوة خالد عبد العليم
- 5- تفسير القرآن العظيم ابن كثير
- 6- تاريخ الطبري الإمام ابن جرير الطبري
- 7- صحابيات حول الرسول محمود المصري
- 8- في ظلال القرآن سيد قطب
- 9- فاطمة بنت رسول الله ﷺ د/ عبد العزيز عبد الفتاح
- 10- مؤمنات لهن عند الله شأن د/ محمد بكر اسماعيل
- 11- نساء في عصر النبوة أحمد خليل جمعة
- 12- نساء خالدات في القرآن الكريم أحمد جمال عبد العال
- 13- نساء النبي ﷺ د/ عائشة عبد الرحمن

الفهرس

5	 مقدمة
7	 حواء... أول عروس على وجه الأرض
9	 خلق حواء
10	 من نفس واحدة
10	 العدو الحقيقي
10	 مساواة في التشريف
10	 الزواج آية الله في الأرض
11	 طرفة
11	 قوامة آدم
11	 حواء والطاعة
11	 ملامح الشخصية
11	 خواطر وعبر
13	 والغة - امرأة نوح - (المرأة الإمعة)
15	 ذكرها في القرآن
16	 نهاية امرأة نوح
16	 ملامح الشخصية
16	 خواطر وعبر
19	 سارة بنت هاران (صاحبة بشرى الملائكة)
21	 من هي سارة؟
21	 كرامات الكرماء
21	 سارة في مصر

- 22 حرمان من الأمومة
- 23 سارة وغيره النساء
- 23 بشرى الملائكة وتكريم سارة
- 24 وقد جاءت البشرى تحمل بشريات
- 24 خواطرو عبر
- 27 هاجر - المصرية (امرأة في مواجهة الصّعب)
- 29 تحدي الظروف
- 30 تربية امرأة
- 31 ابتلاء الذبح
- 31 ملامح الشخصية
- 31 خواطرو عبر
- 33 امرأة لوط (عجوز السوء)
- 36 وجاء في المستدرك
- 37 عقاب قوم لوط
- 37 نظرة فاحصة في طريقة عقاب قوم لوط
- 42 خواطرو عبر
- 43 رعلة امرأة إسماعيل (الزوجة المثالية)
- 45 إعلان هام
- 45 قصة طلاق الزوجة الأولى
- 45 قصة إبراهيم مع رعلة
- 46 رعلة الودود الولود
- 46 ملامح الشخصية
- 47 خواطرو عبر

- 49 راعيل - امرأة العزيز (الجميلة في المنبت السوء)
- 51 النشأة والبيئة
- 52 كيد النساء
- 52 ألوان الكيد في قصة امرأة العزيز
- 54 امرأة العزيز تعترف بالحقيقة
- 54 توبة امرأة العزيز
- 54 خواطر وعبر
- 57 بلقيس ملكة سبأ (الملكة العاقلة)
- 59 المُلْك والذكاء
- 60 المشورة
- 60 المرأة وسلاح الحيلة
- 61 قصة العرش
- 62 ملامح شخصية بلقيس
- 63 خواطر وعبر
- 65 ناعسة زوجة أيوب عليه السلام (الزوجة الوفية)
- 67 من هي زوجة أيوب عليه السلام ؟
- 67 حياتها مع زوجها
- 67 الابتلاء
- 68 الزوجة الوفية
- 68 عمل الزوجة
- 68 فتنة الزوجة
- 68 إشارة القرآن إلى زوجة
- 69 رفع البلاء وفرحة الزوجين
- 70 ملامح الشخصية

- 70 خواطرو عبر
- 71 يوكابد - أم موسى (الأم القدوة)
- 73 أم ترى ولدها في اليم
- 74 قلب الأم
- 74 أخت موسى اللببية الذكية
- 75 وعد الله يتحقق
- 75 ملامح الشخصية
- 75 خواطرو عبر
- 77 صفورا (امراة موسى) (الفتاة المثالية)
- 79 من هي ؟
- 79 مروءة نادرة
- 80 دعوة كرم وإحسان
- 80 لقاء موسى ﷺ بالشيخ
- 81 الزواج المبارك
- 82 رحلة العودة إلى مصر
- 82 خواطرو عبر
- 85 آسية بنت مزاحم «امراة عرفت الحب»
- 87 اختارها الله لينصر بها دينه
- 88 موقفها من دعوة موسى
- 89 ملامح الشخصية
- 90 خواطرو عبر
- 93 أشياع امراة زكريا (أم الشهيد)
- 95 العائلة الربانية
- 95 حمل له علامة

- 96 علاقة يحيى بن زكريا بعمى بن مريم
- 96 البشرى من الملاء الأعلى
- 98 أم الشهيد
- 98 خواطر وعبر
- 99 امرأة عمران (امرأة تحمل حملاً ربانياً)
- 101 مناجاة وسؤال الحبيب
- 101 مناجاة شكر واعتذار
- 102 ليس الذكر كالأنثى
- 102 الإيمان حرز من الشيطان
- 103 التسمية
- 103 اصطفاء إلهي
- 104 ملامح الشخصية
- 104 خواطر وعبر
- 105 مريم ابنة عمران (العفيفة الطاهرة)
- 107 خير النساء
- 107 النشأة الطيبة
- 107 الخلو والعبادة
- 107 ظهور الكرامة
- 108 البلاء العظيم
- 109 الحل هو الصمت
- 109 مريم تهاجر إلى مصر
- 110 خواطر وعبر
- 111 خديجة بنت خويلد (الزوجة الأم)
- 113 النشأة الطيبة

113	زواجها
114	زواجها من محمد ﷺ
115	أبناء خديجة من محمد ﷺ
116	خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا صخب ولا نصب
116	جهادها في نشر دين الله
119	وفاة ووفاء
120	ملامح الشخصية
120	خواطر وعبر
123	أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (الحكيمة الرحيمة)
125	نشأتها
125	زواجها من أبي سلمة
125	الهجرة إلى الحبشة
125	قصة الهجرة إلى المدينة
126	وفاة أبي سلمة
127	زواجها من رسول الله ﷺ
128	في بيت الزوجية
128	مواقف عظيمة
129	صاحبة القلب الرحيم
130	العفو الكريم
130	ضبط النفس
130	العلم والفقہ
131	الرحيل
131	ملامح الشخصية
131	خواطر وعبر

- 133 فاطمة الزهراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (خير عروس في أبسط زواج)
- 135 المولد والنشأة
- 135 حنان في تربية البنت
- 135 هجرتها
- 135 زواجها بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- 136 استشارة البنت
- 136 إشهار الزواج
- 136 حفل الزفاف وجهاز العروسين
- 136 المجاملات في العرس
- 136 تبسط النبي مع زوج ابنته
- 137 مواقف من حياة الزهد
- 138 ذلك خير لكما من خادم
- 138 خلافات الزوجية
- 139 جهادها
- 140 وفاة الحبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- 140 وبعد الوفاة
- 140 وفاتها
- 141 خواطر وعبر
- 143 فاطمة بنت أسد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (الحماة الطيبة)
- 145 من هي؟
- 145 البركة في بيت فاطمة
- 145 نداء الإيمان
- 145 في سبيل الله
- 146 الحماة الطيبة

- مكانتها 146
- رحلة الخلود 146
- خواطر وعبر 147
- صفية بنت عبد المطلب (الشجاعة القوية) 149
- تربيتها لابنها 151
- شاعرة الهاشميات 151
- ثباتها وجلدها 151
- بطولة نادرة 152
- في مقعد صدق 153
- خواطر وعبر 153
- أمامة بنت أبي العاص (حبية الحبيب) 155
- بين أبيها وأمها 157
- بعد الهجرة 157
- أمامة تهاجر مع أمها 157
- أمامة في رحاب الحبيب 158
- أحب أهلي إليّ 158
- أبو أمامة يعود إليها 159
- أمامة تفقد أمها 159
- أمامة تفقد جميع أهلها 159
- زواجها 160
- خواطر وعبر 160
- أم أيمن الحبشية (الأم الحنون) 163
- من هي؟! 165
- «هذه بقية أهل بيتي» 165

- 165 مشاركة النبي في الأفراح والأحزان
- 166 بركة تحدثنا عن بركة الحبيب
- 166 أزواجها وأولادها
- 166 جهادها
- 167 معجزة لأم أيمن
- 167 مكانتها ومزاج النبي معها
- 168 وفاة الحبيب
- 169 وداعاً أيتها الرؤوم
- 169 وفاتها
- 169 ملامح شخصية أم أيمن
- 169 خواطر وعبر
- 171 الشفاء بنت عبد الله (الطبيبة النفسية)
- 173 من هي؟!
- 173 رخصة طيبة نبوية
- 174 موافقها مع عمر الفاروق
- 175 الشفاء والحديث النبوي
- 175 ملامح الشخصية
- 175 خواطر وعبر
- 177 درة بنت أبي لهب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (درة تلمع وسط الظلام)
- 179 من هي؟
- 179 من أخبار أبي لهب
- 179 نهايته
- 180 أم جميل
- 180 درة تلمع وسط الظلام

- 180 وحتى الزوج!
- 181 أغضب الله من أغضبك
- 181 أنت مني
- 181 وفاتها
- 182 خواطر وعبر
- 183 هند بنت عتبة رضي الله عنها (القيادية في الجاهلية والإسلام)
- 185 وجاء الحق
- 185 هند قبل الإسلام
- 185 وكان الثأر في أحد
- 186 هند وأبو دجاجة
- 186 مقتل حمزة
- 186 قصة إسلامها
- 187 البيعة
- 187 هند ومعاوية رضي الله عنها
- 188 موقفها في معركة اليرموك
- 188 ملامح شخصية هند
- 190 خواطر وعبر
- 191 صفية بنت حيي رضي الله عنها
- 193 من هي؟
- 193 نشأتها
- 194 رحيل من المدينة
- 194 في خيبر
- 194 مقتل حيي بن أخطب
- 195 زواج صفية من رسول الله صلوات الله عليه

196	عطف النبي ﷺ ورحمته بصفية
197	صفية في بيت النبوة
197	الكريمة صاحبة القلب الرقيق
198	مكانة صفية عند النبي ﷺ
199	صفية الصافية
200	دورها في السياسة
200	عبادتها
201	خواطر وعبر
203	أم إبراهيم... مارية القبطية
212	خواطر وعبر
213	المراجع
214	الفهرس